الفصل الحادى عشر

الطفلة المعجزة .. ممثلة وسفيرة !!..

بدأت أمارس عملى كمدير لإذاعة الشعب وأعطيت ثقة لأبنائها شاداً على أيدى المجيدين منهم وقارصا قرصة خفيفة على أذن المتقاعسين وكان لهذه الإذاعة خبطات إذاعية نجحت فى تحقيقها منها حديث أجراه الزميل الراحل محمد الشناوى مع الرئيس أنور السادات وكانت العادة عندما يذاع حديث للرئيس أن تنضم موجات الشعب وصوت العرب إلى البرنامج العام لإذاعة الحديث ولكن انقلبت الآية عندما أعلن مذيع إذاعة الشعب عن انضمام موجات البرنامج العام وصوت العرب والشرق الأوسط إلى إذاعة الشعب لإذاعة حديث مع الرئيس السادات استغرق أكثر من ساعة حكى فيه السادات الكثير من ذكرياته كما كانت إذاعة الشعب أول إذاعة تجرى حديثا مع السيد حسنى مبارك الذى كان نائبا لرئيس الجمهورية وانضمت فيه الموجات الرئيسية إلى موجة إذاعة الشعب حيث تحدث السيد نائب الرئيس عن ضربة الطيران الأولى فى حرب أكتوبر المجيدة وعن ذكرياته كطيار بسلاح الطيران وقامت إذاعة الشعب بتقديم حفلات غنائية فى عواصم المحافظات كان يحييها مطربو الفنون الشعبية والمطربون المحليون من أبناء المحافظة التى يقام الحفل فى عاصمتها كذلك كان للإذاعة حفل دينى تقيمه كل شهر فى مدينة من المدن يحييه كبار القراء والمنشدون وكان يلقى فيه الأحاديث الدينية ثقاة العلماء من الأزهر الشريف وأساتذة الجامعات الذين كانوا يرحبون بالسفر معنا إلى هنا وهناك أما فيما يتعلق بإنشاء إذاعة الشباب ففى جلسة مع السيد الوزير كمال أبو المجد ذكرته بما كان يطوف فى الذهن من رغبة فى إنشاء موجة خاصة تبث النشاط الرياضى فى فترة كونه رئيسا للمجلس الأعلى للشباب والرياضة وكان الزميل الراحل إيهاب الأزهرى فى تلك الأيام مديرا لإذاعة ركن السودان ورأى السيد الوزير أن نقتطع ساعتين يوميا من موجة هذه الإذاعة لنقدم عليها الشباب والرياضة ولكن الزميل الأزهرى أصر على أن يقدم هو هاتين الساعتين وعلى أن تكونا مخصصتين لأنشطة شبابية ليس فيها ذكر للرياضة، الدكتور كمال أبو المجد رأى أن تبدأ الإذاعة حسبما قال الأستاذ إيهاب واعداً إياى بأنه بعد فترة زمنية قصيرة سيمهد لإدخال الرياضة فى برامج هذه الإذاعة وقال المهم أن يكون هناك موجة خاصة بالشباب ولكن بعد فترة لا تتعدى بضعة شهور خرج الدكتور أبو المجد من التشكيل الوزارى وجاء بعده وزير آخر ووئدت الفكرة.

وظلت إذاعة الشباب تقدم برامجها دون ذكر للرياضة وأحداثها إلى أن جاء السيد صفوت الشريف رئيساً لاتحاد الإذاعة والتليفزيون فأراد الرجل أن يعدل المعوج وأمر بتسمية إذاعة الشباب باسم إذاعة الشباب والرياضة وكان ما كان وتوليت إدارة الإذاعة الجديدة بالإضافة إلى عملى كرئيس لشبكة

الإذاعات المحلية التى بدأنا الإعداد لها لتكون هناك إذاعات فى الأقاليم بدلا من إذاعة الشعب التى انتهى عمرها مع نهايات السبعينيات وخصصت موجة معينة لبث برامج الشباب والرياضة وبدأت البرامج فى حدود أربع ساعات يوميا وفى نهاية عام ١٩٨٢ عينت رئيسا للإذاعة فأعطيت دفعة قوية لإذاعة الشباب والرياضة وعندما أنهيت عملى بالإذاعة لبلوغى السن القانونية للإحالة إلى المعاش كانت إذاعة الشباب والرياضة تبث اثنتى عشرة ساعة يوميا وهكذا تحقق حلمى الذى سعيت إلى تحقيقه منذ أن بدأت أقدم البرامج الرياضية لمدة ربع ساعة أسبوعيا وظللت منذ منتصف الخمسينيات وأنا أجاهد من أجل أن يكون هناك وقت مخصص للبرامج الرياضية فى مختلف الإذاعات مثل صوت العرب وركن السودان وإذاعة الشعب ولم أهدأ ولم أكل أو أمل حتى إننى كنت أحس بالمسئولين وكأنهم ضاقوا ذرعا بإلحاحى المتتالى بشأن توسيع قاعدة البث الرياضى بالإذاعة وكان الأمل أن تكون هناك إذاعة مثل تلك التى شاهدتها فى ألمانيا الشرقية عام ١٩٦٩ وبالفعل ومع الإصرار والعزم تحقق المراد وها هى ذى شبكة الشباب والرياضة تبدو كإذاعة متألقة متوهجة لها جماهيرها الواسعة التى تعرف من خلال برامجها كل ما يدور فى الحقل الرياضى وتبث برامجها على مدار الساعة يوميا.

صداقة عمر ..

منذ اليوم الأول الذى ذهبت فيه إلى مبنى الإذاعة لأداء امتحان المذيعين الجدد بدأت علاقتى بالزميل طاهر أبوزيد ذلك أننى عندما دلفت إلى صالة الاستوديوهات بمبنى الإذاعة بشارع علوى والذى أصبح البنك الأهلى يحتله الآن وجدت أعدادا غفيرة من الشباب والشابات الذين سيمرون بتجربة الامتحان وكل منهم يمنى النفس بأن يصبح مذيعا ووجدت شابا يجلس بمفرده وهو يشد أنفاس السيجارة من شفتيه فقلت له فسح شوية دون أن أستأذنه فى ذلك وجلست إلى جواره ودون أن أقول له كلمة من فضلك قلت له ولع لى السيجارة ابتسم الشاب وقام بتلبية طلبى دون أن ينبس ببنت شفة كما يقولون ثم التفتُّ إليه وقلت له أنت منين، فقال متعجبا يعنى إيه منين؟ فقلت له بصعيديتى العفوية يعنى من أى حتة فى مصر صعيدى ولا بحيرى فقال لى مبتسما وأنت يهمك فى إيه الحكاية دى فقلت له مش يمكن نبقى زمايل فى الإذاعة فقال أنا من بحرى وأكمل يقول وأنت باين عليك صعيدى وكانت مفاجأة سارة لى أن وجدته فى اليوم التالى يدخل الامتحان أيضا بعد أن اجتزنا معا التصفية الأولى وتبادلنا الحديث وبدأت بشائر الألفة تترسخ بيننا ثم كانت المفاجأة الأشد سرورا أننا كنا من ثمانية الأشخاص الذين نجحوا فى آخر مراحل الامتحانات وصدر القرار بتعيننا مذيعين بالإذاعة ولكن قرار عملى كمذيع ارتبط بتخلصى من اللهجة الصعيدية وذلك ما حدث بعد عدة شهور المهم أننى فى خلال عملى فى قسم التسجيلات وكان طاهر مذيع هواء كنا نلتقى فى استراحة المذيعين ونتجاذب أطراف الحديث ونأخذ فى ترديد النكات هو عن الصعايدة وأنا عن الفلاحين حتى إننى كنت أناديه دائما باسمه مسبوقا بصفة الفلاح وسارت الأيام حتى بدأنا نقدم البرامج الإذاعية فقدم هو برنامج جرب حظك وقدمت أنا ساعة لقلبك ومجلة الهواء

كان طاهـر عندمـا يلتقى بى يقدم لى رؤيته عن حلقة من حلقات سـاعة لقلبك وأنا أفعل كذلك بالنسـبة لجرب حظك كان التنافس بيننا قائما فى روح رياضية وأخوة ومحبة ولا أنسـى ما حييت حلقة «جرب حظك» الذى اسـتضافنى فيها طاهر وأصر على أن تكون إجاباتى عن أسئلته باللهجة الصعيدية، سألنى عن منشئى وصباى وقريتى ومدرستى وعن عملى كمذيع ثم قال لى أريدك أن تصف لنا وكأنك فى إذاعة خارجية مشـهدا من المشـاهد التى لايزال فى ذهنك عن الحياة فى قريتك فى الصعيد الجوانى وكان أن قمـت على مدى خمس دقائـق بتقديم وصف تفصيلى وباللهجة الصعيدية عن حادث عراك بين عائلتين بسـبب أن حمارا يملكه شـخص من عائلة دخل حقل برسيم يملكه شـخص من العائلة الأخرى وكيف تعارك صاحب حقل البرسيم مع مالك الحمار مما أدى إلى تشابك العائلتين معا حيث قامت بينهما معركة حامية بالشـوم والعصى إلى أن تدخل عقلاء القرية فأصلحوا ذات البين بين المتخاصمين وجاءت ١٩٥٧ وتقدم طاهر أبوزيد لانتخابات مجلس الأمة وقامت فكرة فى ذهن زملاء طاهر مؤداها أن نذهب جميعا إلى مقر دائرته الانتخابية فى مدينة طلخا لنشد من أزره.

دعاية انتخابية ..

وبالفعل ذهب حوالى عشـرين من المذيعين ومقدمى البرامج إلى هناك واسـتقبلنا طاهر فى السـرادق الانتخابى الكبير الذى احتشـد فيه الآلاف من مؤيديه وقمنا واحدا بعد الآخر نقرظ طاهرًا أمام الجموع ونسـتحث الجماهـير على التصويت لـه وعندما جاء الدور علىَّ أصر طاهر علـى أن أخطب فى الناس بلهجتـى الصعيديـة وقد كان وأزعم أن كلماتى كان لها وقـع جميل فى نفوس الحاضرين حيث صفقوا طويلا بين كل فقرة وأخرى ونجح طاهر أبوزيد بما يشبة الاكتساح على رغم أن منافسه كان أبا عن جد هم نواب الدائرة منذ انتخابات ١٩٢٤ وحتى انتخابات ١٩٥٧ التى اكتسحها طاهر وكان لطاهر وقفاته فـى الحياة البرلمانية بـل إنه لم يكتف بما كان يقوله من آراء فى مجلس الأمة بل أضاف تقديم برنامج «رأى الشعب» فى الإذاعة يناقش فيه رغبات الجماهير وطموحاتهم ويحاول حل مشاكلهم والقضاء على متاعب حياتهم وهمومهم ولا أنسـى ليلة زفاف طاهر أبوزيد إلى زوجته الفاضلة كاميليا الشـنوانى التى أصبحـت بعد ذلـك مقدمة برامج متألقة فى التليفزيون وكانت من الرعيـل الأول الذى قام على أكتافه هذا الصرح الشـامخ. فى تلـك الليلة تجمعنا نحن أصدقاء وزملاء طاهـر أبوزيد وجئنا له بمجموعة من المتعاملـين مـع الإذاعة فأحيوا حفل الزفاف ثم قمنا جميعا بزفته حتى أدخلناه إلى شـقة الزوجية وتمر الأيام ويفكر المسـئولون فى إنشـاء إذاعة تقدَّم فيها الإعلانات وهى إذاعة الشـرق الأوسـط فإذا بطاهر أبوزيد هو فارسـها فرأس الإذاعة الوليدة عدة سنوات كانت خلالها سنوات ازدهار وتألق وأعطاها طاهر وقته وتجاربه فنجحت إذاعة الشـرق الأوسط نجاحا كبيرا وكانت حديث الناس ورأت بعض الإذاعات الشقيقة الاستعانة بخبرة طاهر أبوزيد فسافر إلى بعض من دول الخليج وقدم لهم الاستشارات الإيجابية وأعطاهـم خبرته فى كيفية تقديم البرامج والتخطيـط للدورات الإذاعية وقام بتدريب العديد من الكوادر

هناك، وبعد أن بلغ طاهر السن القانونية لم يشأ الميكروفون أن يستغنى عنه فكيف يستغنى عن رائد إذاعى يمكن أن يقدم الكثير من العمل الإيجابى وها هو ذا طاهر أبوزيد وقد جاوز الثمانين من العمر – أطال الله فى عمره – يقدم كل أسبوع برنامجه الجذاب «أسبوعيات طاهر أبو زيد» حيث يقدم فيه تجاربه الإذاعية ويستعيد ملامح الزمن الجميل من خلال لقطات لعدد من البرامج واللقاءات التى يحتفظ بها ميكروفون الإذاعة ويحرص طاهر أبو زيد فى برنامجه هذا على احترام اللغة العربية منبها أنه لزاما علينا جميعا أن نحترم لغة الأمة بل لغة القرآن الكريم وأنه من العيب أن تنتشر بعض الألفاظ الأعجمية على ألسنة البعض من المذيعين فى وسائل الاتصال حيث لا يخلو حديثهم من لفظ أعجمى عندما لا تسعفه اللغة العربية التى لم يدرسها جيدا أو يتعمق فيها فى إيجاد اللفظ العربى الملائم فإذا به يلجأ إلى لفظ أعجمى، كما يأخذ طاهر على المسئولين تركهم الحبل على الغارب لكل فرد فى أن يسمى شركته أو مؤسسته تسمية أجنبية فهناك محلات «البلاك ستار» وهناك مطاعم «الثرى كورنرز» و «الفور كورنرز» بل إننى سمعت طاهرًا مرة فى إحدى حلقات برنامجه وهو يسخر من أحد الأندية الكبرى التى تنتشر فى ملاعبها الإعلانات باللغة الإنجليزية فهذا التنس كورت بدلا من ملعب التنس وهذه «التشيلدرن جاردن» بدلا من حديقة الأطفال حتى المسجد أمامه لافتة مكتوب عليها «موسك» بالإنجليزية.

ومن شغف طاهر بضروره تواجد اللغة العربية فى كل أحوالنا أنشأ جمعية «حماة اللغة العربية» وقام بتسجيلها وشهرها وأصبح لهذه الجمعية كيان لا بأس به حيث انضم إليها العديد ممن يسوءهم عدم احترام لغتنا وهم يقومون بعقد ندوات شهرية وزيارة التجمعات فى المدارس والمعاهد وما يجب أن يكون عليه المذيعون والمذيعات ومقدمو البرامج من حب للغة وإجادة لها وعدم الوقوع فى أخطاء نحوية خاصة إذا وقع الخطأ من مذيع هو القدوة فى الشأن اللغوى.

ولعلى فى هذه المناسبة أبعث بآيات الحب والصداقة والأخوة للزميل الكريم داعيا له بموفور الصحة ومؤملا نجاحه فى دعوته للأخذ من اللغة العربية وابتعاد الألفاظ الأعجمية عن ألسنتنا فى التخاطب أو الكتابة.

النجمة الطفلة ..

لن أنسى تلك اللحظات التى التقيت فيها بالممثلة الأمريكية «شيرلى تمبل» التى أحببتها وهى تمثل دور الطفلة الصغيرة فى عديد من الأفلام التى أنتجتها هوليود والتى أظهرت فيها هذه الطفلة مواهبها التمثيلية الفذة، وبالطبع لم ألتق بها كممثلة سينمائية ولكنى التقيتها وهى تشغل منصب سفيرة الولايات المتحدة فى غانا، كان ذلك فى سنة ١٩٧٤ عندما ذهبت مع فرق الجامعات المصرية الرياضية المشاركة فى بطولة الجامعات الرياضية الإفريقية التى نظمتها غانا فى تلك السنة وكانت دورة جميلة اجتمع فيها الرياضيون من عدد كبير من جامعات القارة وكان هناك سفير مصرى عالى القيمة هو السفير حسن شاش الذى احتفى بالبعثة المصرية احتفاء كبيرا وسخر إمكانيات السفارة المصرية لخدمة اللاعبين

وأعضاء البعثة من أساتذة الجامعات الذين سافروا كإداريين للفرق الرياضية، وأشهد أن الرجل اختصنى بكرمه الزائد واستضافنى فى منزله أكثر من مرة وحرصت زوجته الكريمة على أن تقدم كل ألوان الكرم الشرقاوى فالسفير العظيم من أبناء الشرقية، وكان معه مستشارا أو وزيرا مفوضا ولا أتذكر الآن الصفة الوظيفية له وكان أيضا شخصا عظيماً هو السفير بعد ذلك «شكرى فؤاد» الذى كان أيضاً نعم الإنسان المصرى الذى يقدم كل اهتماماته بأبناء وطنه عندما يلتقونهم فى البلدان التى يمثلون مصر فيها كسفراء وعاملين فى السلك السياسى، وعلمت من خلال حديثى مع السيد السفير أن سفيرة الولايات المتحدة فى أكرا هى الممثلة الطفلة شيرلى تمبل التى مازالت أفلامها تعيش فى وجداننا نحن الذين شاهدناها وهى تؤدى أدوارها التمثيلية فى عقدى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضى على الفور تحركت الحاسة الإذاعية ورجوت السيد السفير إذا ما كان فى الإمكان أن أسجل معها حديثا إذاعيا أضمنه فقرة من فقرات برنامجى «مجلة الهواء» وأن الحديث سيدور معها عن ذكريات الطفولة والنجومية الباذخة التى اكتسبتها وهى طفلة بارعة فى التمثيل.

وفى اليوم التالى التقيت السيد السفير حسن شاش الذى أخبرنى أنه اتصل بالسيدة السفيرة وأنها رحبت باللقاء وحددت الموعد ليكون فى الساعة كذا فى مكتبها بالسفارة وتحدثت مع الكابتن لطيف ليكون هو خير من يترجم الحوار فالرجل – يرحمه الله – كان ضليعا فى اللغة الإنجليزية بينما كانت انجليزيتى على قد الحال ورحب الكابتن واقلتنا سيارة السفارة المصرية إلى مقر السفارة الأمريكية وهناك استقبلنا أحد مسئولى السفارة الذى اصطحبنا إلى مكتب السفيرة، وعندما دخلنا المكتب وقفت السفيرة ترحب بنا وعلى يمينها ويسارها جنديان من المارينز يقفان كأنهما تمثالان لا تطرف لهما عين، وبعد الترحيب وتقديم واجب الضيافة أجريت معها الحديث الذى كان يترجمه الكابتن لطيف، وأذكر أنه من بين ما قالته لى أنها لم تعش طفولتها أو تمارس هذه الطفولة كما يمارسها أمثالها من الأطفال حيث كانت أغلب الوقت فى عمل شاق تحت أضواء الكاميرات وضجيج العاملين والاستديوهات وسألتها عن الفرق بين التمثيل على الشاشة والتمثيل الدبلوماسى فابتسمت وقالت إنها فى بعض المواقف التى تصادفها كسفيرة تتصرف بروح الممثلة التى كانت عليها وهى طفلة واستمر الحديث قرابة عشرين دقيقة تمنت فى آخره التقدم لمصر وقالت كلمات فى حق الرئيس السادات يرحمه الله وكيف أنه فاجأ العالم أجمع بحرب أكتوبر وأنه رجل سلام، ومن طرائف دورة ألعاب الجامعات الإفريقية أنه حل علينا ونحن فى أكرا يوم رأس السنة وليلة الأول من يناير ١٩٧٥ ولما كان لاعبونا قد اكتسحوا كل اللعبات تقريباً وكنا سنعود إلى أرض الوطن بعد يومين فقد أقمنا حفل رأس السنة ودعونا رجال السفارة ورجال الرى المصرى وعددا من أفراد البعثات الجامعية الأخرى واتفقنا مع طباخى المعسكر على أن نحضر لهم كل لوزام عمل أطباق من الفتة ولحم الضأن وأشرف على ذلك الراحل يوسف أبو عوف الذى كان إداريا للطلبة الرياضيين من جامعة عين شمس حيث كان رئيساً لحرس الجامعة فى تلك الأيام.

ذكريات رياضية ..

ومادمت قد تحدثت عن غانا فإن لى فيها ذكريات لاتزال راسخة فى العقل، كانت رحلتى الأولى إلى غانا فى عام ١٩٦٣ مصاحباً للفريق القومى لكرة القدم عندما شارك فى كأس أمم إفريقيا الرابعة التى نظمتها غانا كان المنتخب أيامها يضم نجوم الخمسينيات ومطالع الستينيات مثل رفاعى وشحتة والفناجيلى ورضا والشاذلى ومصطفى رياض وغيرهم من لاعبى تلك الحقبة من السنين، ووصلنا إلى أكرا وكان علينا أن نشد الرحال فى نفس يوم الوصول إلى مدينة كوماسى التى تبعد مسافة خمسمائة كيلو متر عن أكرا حيث كنا فى المجموعة الثانية التى تضمنا مع السودان ونيجيريا، ووصلنا بطائرة صغيرة أقلتنا من أكرا قرب الظهر وكان اليوم يوم سبت ووصلنا إلى الفندق وكانت المفاجأة أن مطعم الفندق لن يستطيع تقديم وجبة الغداء إلا للاعبى الفريق والإداريين أما مجموعة الإعلاميين وكانت خمسة أفراد فعليهم أن يدبروا حالهم فيما يتعلق بالغداء، الفندق لا يزيد على ثلاثة نجوم وحجراته ضيقة وصالة الاستقبال فيه مظلمة فقد كان هذا حال غانا فى تلك السنوات التى خرجت فيها قبل قليل عن ربقة الاستعمار الإنجليزى واحترنا – نحن الخمسة الإعلاميين – كيف وأين سنتناول وجبة الغداء كان الإعلاميون هم الراحل نجيب المستكاوى والراحل محيى الدين فكرى والراحل صلاح المنهراوى والراحل أحمد مكاوى وشخصى الضعيف وخرجنا نتجول فى شوارع كوماسى فإذا بها قاعاً صفصفاً فاليوم يوافق السبت والإجازة تبدأ من بعد ظهر السبت حتى صباح الاثنين وعبثا حاولنا أن نجد بقالاً أو مطعماً وفجأة رأينا شخصاً أبيض اللون يقول لنا فى عربية باللكنة الشامية مرحباً يا شباب، وتنفسنا الصعداء وبادلناه التحية وقصصنا عليه الحكاية فإذا به يقول «يا عيب الشوم تعالوا معى» كان أبو خليل الذى لن أنسى اسمه ما حييت يرتدى بنطلونا قصيرا وقميصا نصف كم ويمسك فى يديه بزجاجة بيرة يحتسى منها جرعة بعد جرعة كان الجو حاراً للغاية وسرنا مع أبو خليل قرابة ربع كيلو تحت بواكى المحلات المغلقة والتى على الطراز الإنجليزى حتى وصلنا إلى دار مكونة من دور أرضى وطابق علوى، وضغط أبو خليل على الجرس فأطل من شباك الطابق العلوى شخص عارى الكتفين ويبدو أنه كان على وشك أن ينام القيلولة وبصوت عال قال له «افتح يا ناصر فيه ضيوف»، وعلى الفور فتح الباب واستقبلنا صاحب الدار بالترحاب بعد أن ارتدى قميصاً وبنطلونا قصيرا ودخل بنا إلى صالون الدار وقدمه لنا أبو خليل باسم ناصر الذهبى ويعمل فى مجال التجارة وهو من أبناء سوريا المغتربين فى غانا، ورحب بنا ناصر كثيرا وحكى له أبو خليل القصة من أولها وقام ناصر وغاب بضع دقائق وعاد بعدها ليقول لنا إن الغداء سيكون جاهزا خلال ساعة وجلسنا نتجاذب أطراف الحديث وكان يعرف مسبقاً أن فريق مصر الكروى سيلعب فى كوماسى وسألته عن قصة اغترابه فى غانا فقال «أنا خلقان هون» أى إنه من مواليد غانا لأن جده هاجر إلى غرب إفريقيا قبل خمسين عاما، وقمنا إلى الغداء وكانت مائدة عامرة عليها ألوان الطعام السورى من تبولة وسلطات وألوان من الفراخ واللحوم والخضراوات وكان غداء لذيذاً وبعد شرب الشاى – وكانت الساعة قد تجاوزت الخامسة مساء – شكرنا المضيف واتفقنا معه على أن يزورنا

فى الفندق وأننا سنزوده بعدد من تذاكر المباريات هو وأصدقاءه ليحضروا المباريات ويشجعوا المنتخب وأذكر أننا لعبنا أول مباراة مع نيجيريا وفزنا عليها بستة أهداف لثلاثة وأتساءل الآن هل لو لعبنا مع نيجيريا الآن نستطيع أن نفوز عليها بهذا العدد من الأهداف، بالطبع لا وفى المباراة الثانية فزنا على السودان بأربعة أهداف وصرنا على رأس المجموعة وقبل أن نلعب المباراة الثانية جاء سفيرنا فى غانا ليشهد المباراة وقام ناصر الذهبى بدعوة السفير والإداريين واللاعبين إلى حفل عشاء فى منزله وفى اليوم الثانى غادرنا كوماسى إلى أكرا بعد أن ودعنا الأخ ناصر الذهبى مع وعد منه أن يتصل بى عندما يحضر إلى القاهرة لو سنحت الظروف، وتشاء الظروف أيضاً أن أسافر أيضاً إلى كوماسى مع النادى الإسماعيلى عندما كان يلعب فى بطولة أندية إفريقيا وكان ذلك فى ١٩٧٢ وكانت مباراة الإسماعيلى مع أشانتى كوتوكو الغانى ووصلنا مع الإسماعيلى إلى كوماسى ولكن الحال كان غير الحال فالمدينة أكثر ازدهارا وبها فندق لا بأس به نزلنا فيه وبحثت عن الأخ ناصر الذهبى وكانت المصادفة الحلوة أننى وجدته لايزال يقيم فى المدينة ولكن يبدو أن الحال غير الحال إذ لم يعد المغتربون من الجنسيات الأخرى لهم نفس المكانة التى كانت قبل عشر سنوات بسبب ارتفاع المد الوطنى والرغبة فى أن تكون الأمور كلها بيد أبناء البلد فرحت بلقاء الأخ ناصر وفرح هو بلقائى واصطحبته معى إلى الفندق وقمت بتعريفه إلى رئيس بعثة الإسماعيلى المهندس عبد الحميدعزت يرحمه الله ومكث معنا الرجل قرابة ساعةٌ وانصرف وهاتفته بعد ذلك لأعطيه تذاكر المباراة وجاء إلى الفندق وأخذ التذاكر، نسيت أن أقول إننى سألته عن عمنا أبو خليل فقال لى: إنه انتقل إلى رحمة الله.

زيارة مفاجئة ..

وتمر الأيام وفى سنة ١٩٧٤ دق جرس التليفون فى منزل وكان ناصر الذهبى على الطرف الآخر يخطرنى بأنه فى القاهرة وأنه ينزل فى أحد الفنادق على النيل وذهبت إليه ورحبت به وعلمت منه أنه كان فى سوريا لزيارة أهله وعشيرته وأنه فكر في زيارة القاهرة قبل العودة إلى غانا وأن الأمجاد التى صنعها الجيش المصرى فى حرب أكتوبر وكذلك ما صنعه الجيش السورى كانت وراء الزيارة للبلدين – ومكث الذهبى حوالى خمسة أيام فى القاهرة ووفقنى المولى عز وجل أن أقوم نحوه بواجب الضيافة وطالت المراسلات بينى وبينه إلى مطالع الثمانينيات ثم انقطعت، ونعود إلى فريقنا القومى الذى تأهل للدور قبل النهائى لكأس إفريقيا التى نظمتها غانا وكانت المباراة بيننا وبين الفريق الغانى وفاز علينا الغانيون ولعبنا مع أثيوبيا على المركز الثالث وكان أن حققنا عليها الفوز أخذين بثأرنا منها فقد سبق لها فى البطولة الثالثة التى نظمتها فى أديس أبابا أننا كنا كما تحدثت من قبل على وشك أن نحرز اللقب فى المباراة النهائية للبطولة لولا أن نقص الأكسيجين أثر على اللاعبين حيث كنا نلعب فى أعلى الهضبة الإفريقية بارتفاع كبير عن سطح البحر وهو الأمر الذى يجعل الأكسيجين قليلاً فى الهواء وكان أن فازت أثيوبيا علينا، لنفوز بعد عامين فى البطولة التى نظمتها غانا على أثيوبيا بثلاثية نظيفة على ما أتذكر محرزين المركز الثالث.

الفصل الثانى عشر

الحديدى ..

من الشخصيات ذات الثقل فى العمل الإذاعى الأستاذ عبد الحميدالحديدى – يرحمه الله – فقد كان الرجل صاحب شخصية فريدة ومتفردة وكان أستاذا فى صياغة نشرة الأخبار وعلى يديه تخرج الكثيرون ممن ضربوا بسهم وافر فى إدارة الشئون السياسية بالإذاعة، وعبدالحميد الحديدى يعتبر من الرعيل الأول الذى قامت عليه بنية الإذاعة المصرية وقد التحق بها بعد عام أو يزيد قليل من إنشائها وعمل فى إدارة الأخبار وتمرس فى تحرير الخبر وصياغة النشرة الإخبارية وكان رائدا من رواد هذا الفن من فنون الإذاعة فهو يترجم الأخبار الأجنبية إلى اللغة العربية ويصيغها الصياغة المطلوبة ويعرف أين يوضع هذا الخبر سابقا على ذاك الخبر كما كان ضليعا فى اللغة العربية الأمر الذى يجعله يفاضل بين هذه الكلمة وتلك حتى يكون الخبر متوازنا ومتسقا مع مفهومه الذى يراد نقله إلى المتلقى، وقد عمل الأستاذ الحديدى فى تحرير نشرات الأخبار بالإذاعة فى أوقات عصيبة تتطلب تمكنا ووعيا بالأحداث من المحرر وهذه الأوقات كانت أثناء الحرب العالمية الثانية وحرب فلسطين وسنوات الثورة وغيرها من الأحداث التى مرت بها مصر فكان الأستاذ الحديدى الرجل المناسب فى المكان المناسب خاصة إذا ما علمنا أن نشرات الأخبار عبر ميكروفون الإذاعة كان يترقبها أغلب المتلقين حيث كانت الإذاعة فى العقود الماضية أهم وسيلة من وسائل الاتصال إن لم تكن هى صاحبة الأهمية الأولى. وعبدالحميد الحديدى كان رجلا غاية فى الانضباط ولعل السبب فى انضباطه المثالى يعود إلى طبيعة عمله فنشرة الأخبار تذاع فى وقت محدد ولذلك لزم أن تحرر فى وقت محدد. سألته مرة عن سر انضباطه الشديد فأشار إلى هذه النقطة آنفة الذكر.

كان الأستاذ الحديدى يغادر منزله فى السابعة من صباح كل يوم حاملا أسرته المكونة من زوجته الفاضلة وابنتيه الصغيرتين فى عربته الصغيرة حيث يقوم بتوصيلهن إلى مدارسهن الزوجة مديرة مدرسة من المدارس النموذجية والابنتان إلى مدرستهما، وإحدى الابنتين ما شاء الله هى هالة الحديدى نائب رئيس الإذاعة السابق وزوجة الإذاعى الرائد فاروق شوشة الشاعر الكبير وأمين مجمع الخالدين ورئيس الإذاعة السابق.

بنت الوز !!..

وفى تمام الساعة الثامنة إلا الربع تقريبا يدخل الأستاذ الحديدى إلى مقهى البن البرازيلى بشارع سليمان باشا بجوار سينما ميامى ليحتسى فنجان قهوته ويقرأ الجريدة التى بيده ويدخن أكثر من

سيجارة ويتجاذب الحديث مع مجموعة من الأصدقاء الذين تعودوا أن يتقابلوا فى المقهى الذى بدون كراس للجلوس عليها بل الجميع يحتسى قهوته وقوفا وكان الأستاذ أنيس منصور من أبرز هؤلاء الذين يتجمعون فى تلك الساعة وقد قدر لى أن أكون من بين الواقفين مع هذه المجموعة فقد كنت أقوم بتوصيل السيدة زوجتى إلى المستشفى الذى تعمل طبيبة فيه فى شارع عبد الخالق ثروت أمام نقابة الصحفيين قبل الساعة الثامنة صباحا ثم اتجه إلى البن البرازيلى لألقى تحية الصباح على الأستاذ ومجموعة الأصدقاء. وعقب احتساء القهوة يغادر الأستاذ الحديدى فى الطريق إلى مكتبه ليصله فى تمام الساعة الثامنة والنصف ليبدأ عمله رئيسا لمراقبة الأخبار ولا يفوتنى أن أذكر أن الرجل كان يتابع فقرات نشرة الأخبار الساعة السابعة والنصف صباحا قبل مغادرته لمنزله عن طريق التليفون حيث يقرؤها عليه المحرر المكلف بنشرة الصباح كان عبد الحميد الحديدى عندما يدخل إلى مكتبه ويلقى تحية الصباح يباشر مهام عمله بجدية وحماس شديدين ولم تكن هناك أية فرصة لدى مرءوسيه المنتشرين فى صالة التحرير إلا العمل الجاد المستمر ولم يكن هو يسمح إلا بالعمل الجاد. ومعرفتى بالأستاذ الحديدى بدأت سلبية، وانتهت ولله الحمد إلى صداقة متينة ومحبة عارمة.

أصبحت واحدا ممن يؤثرهم الأستاذ الحديدى ويتعهدهم بالرعاية وظل هذا الإيثار على أشده حتى إننى كنت الوحيد من بين زملاء جيلى الذى أدعىَ مع زوجتى إلى ليلة الاحتفال برأس السنة التى كان احتفال الحديدى بها مشهودا ويحضره أكثر من ثلاثين أو أربعين زوجا وزوجة وكان هذا مثار حسد من زملائى واشمعنى أنا الذى يخصه الأستاذ الحديدى بهذا الإيثار. كان الأستاذ الحديدى يحتسى فى مكتبه أكثر من أربعة فناجين قهوة أثناء عمله ولكنه لم يكن يشرب قهوة بوفيه الإذاعة فقد كان كييفا ولذلك كان يصنع قهوته بيده فعلى يمينه فى مكتبه مائدة صغيرة بها سخان كهربائى صغير وأكثر من كنكة لصنع القهوة وكان البعض من زواره يقدم لهم القهوة من صنع يديه أما البعض الآخر فكان يجلب له القهوة من البوفيه، وحتى وهو رئيس للإذاعة كان هذا دأبه وكان الواحد منا عندما يجد فى عمله يقدم له الأستاذ القهوة مصنوعة بيديه وإذا ما كان هناك تقصير كان يقول له تشرب قهوة فإذا كانت الإجابة بالإيجاب كان يستدعى ساعى المكتب ليحضر له القهوة من البوفيه وكان تقديم القهوة بصنع يدى الأستاذ أو تقديمها من البوفيه مقترنا برضا الأستاذ أو غضبه ومن طرائف الأستاذ الحديدى التى تدل على سعة صدره ما حدث من أحد المعلقين الكرويين وهو يصف مباراة من مباريات الدورى، فقد أخطأ المعلق وقال لفظا لا داعى له – زلة لسان – وفى صباح اليوم التالى للمباراة ذهبت إلى الأستاذ فى مكتبه وكان مديرا عاما للبرامج وأطلعته على ما حدث وقلت له إننى أحببت أن أقول لك الخبر قبل أن تقرأه فى تقارير المتابعة، نظر إلىَّ نظرة طويلة ثم قال: وهل قطع الكرة بهذا الجزء من الجسم الذى ذكره المعلق يعتبر خطأ كرويا يعاقب عليه قانون الكرة ويحتسب خطأ على اللاعب؟ فقلت له لا فقال إذ يعتبر الأمر منتهيا وضحكنا معا.

رأس الأستاذ الحديدى الإذاعة ثلاث سنوات أو يزيد وذلك من سنة ١٩٦٦ إلى سنة ١٩٦٩ عندما وصل إلى سن الستين وخلال سنوات عمله رئيسا للإذاعة كان يعطى جهده مضاعفا فهو يرأس لجان البرامج ويشارك فى لجان اختيار القراء والمذيعين وأذكر أنه فى عام ١٩٦٨ تقدمت كريمته هالة إلى امتحان المذيعين بعد تخرجها فى الجامعة فإذا بالأستاذ عبد الحميدالحديدى يترك لجنة الاختبار التى كان يرأسها حتى لا يكون لوجوده تأثير على قرار اللجنة ولم يجامل أعضاء اللجنة الأستاذ الحديدى رئيس الإذاعة فقد اجتازت هالة الامتحان بنجاح تام ولعل مسيرتها الإذاعية تشهد لها بأن ابن الوز عوام كما يقول المثل العامى كان الأستاذ الحديدى دقيقا فى كل شىء وكان يزعجه أن يخطئ مذيع فى النحو أو الصرف، وكان يقول إن المذيع من أهم أعماله أن يجيد قراءة نشرة الأخبار وألا يخطئ ولو خطأ بسيطا لأنه مفروض فيه أنه قرأ النشرة قبل أن يذيعها أكثر من مرة وأنه شكل كل كلمة وإذا لم يكن على علم بموقع إحدى الكلمات من الإعراب فعليه أن يسأل، ذلك أن الملايين تستمتع إليه، ومن بينهم من هو ضليع فى اللغة ثم إن المذيع هو عنوان الإذاعة.

إلى هذه الدرجة كانت حرفية الحديدى الإذاعية ولكن ما أثر فى الأستاذ الحديدى وجعله مهموما للغاية هو النكسة التى أصابتنا جميعا عام ١٩٦٧ خاصة أن الكثيرين أنحوا باللائمة على الإذاعة بمقولة إنها قالت أخبارا بعيدة عن الصدق وأنها أعطت إحساسا لدى المتلقى أننا على بعد أميال قليلة من تل أبيب فإذا بالمفاجأة غير المنتظرة أن الجيش أخذ يتقهقر وانسحب دون أن يحارب تاركا معداته ولحقت بأفراده وعتاده خسائر كبيرة والبيانات تأتى مباشرة من مكتب وزير الإعلام كان الإذاعيون وعلى رأسهم رئيس الإذاعة أبرياء من كل ما حدث كانت الإذاعة أداة ناقلة فقط لأخبار وبيانات تأتى من مكتب وزير الإعلام ولم يكن لها أى فعل فى صنع الأخبار أو تحريرها حتى التعليق على الأنباء كان يوحى للمحررين بكتابته حسبما تريد القيادة السياسية وكانت أياما حرجة وفترة عصيبة مرت بها الإذاعة ورئيسها الأستاذ الحديدى ولعل الأستاذ الحديدى من القليلين من رؤساء الإذاعة الذين أقيم لهم حفل تكريم عند بلوغهم سن الإحالة إلى المعاش وذلك أن الإذاعيين تجمعوا على قلب رجل واحد وشاركوا فى تكريم رئيسهم عندما أنهى خدمته وأقاموا حفلا جميلا فى صالة نادى ضباط الشرطة بالجزيرة وكان الحفل شائقا جميلا حضره أكثر من مائة من الإذاعيين وشاركنا رجال الشرطة الاحتفاء بالأستاذ الحديدى فلم يتقاضوا إيجارا للصالة وقدمت فى الحفل كلمات صافية فى مناقب الرجل وشاركناه فى قطع تورتة كبيرة ورددنا أغنية عيد الميلاد والرجل سعيد كل السعادة بهذا التكريم ولم تنقطع صلة الأستاذ الحديدى بالإذاعة بل كان دءوبا على أن يعطى من خبراته فى فنون الإذاعة فى معهد تدريب الإذاعيين بالإضافة إلى حضور عدد من اللجان ليقول الرأى ويبدى المشورة فظل كذلك حتى انتقل إلى رحمة الله عام ١٩٧٩ راضيا مرضيا.

انتقادات رياضية !!..

عندما حلت النكسة عام ١٩٦٧ وجهت إلى الرياضة انتقادات كثيرة وقال البعض: إن اهتمام القيادة العسكرية متمثلة فى المشير عامر الذى كان يرأس اتحاد الكرة والفريق مرتجى رئيس النادى الأهلى والفريق سليمان عزت رئيس النادى الأوليمبى وغيرهم من القواد الذين كانوا يرأسون الأندية أو الاتحادات الرياضية وأن هذا الاهتمام بالرياضة جعلهم ينشغلون بها عن أمور الحرب وإعداد الجيش والقوات المسلحة وكان أن صدر القرار بحل مجالس إدارات الأندية والاتحادات الرياضية وتعيين مجالس إدارة بمعرفة وزارة الشباب وتوقف نشاط كرة القدم وألغيت المسابقات والأنشطة فى كل ألوان الرياضة، وفى أحد الأيام تلقيت اتصالا تليفونيا من الرجل الخلوق اللواء أحمد الوتيدى وكان أيامها وكيلا لوزارة الشباب وأخطرنى الرجل أنه يريد مقابلتى فى مكتبه لأمر مهم، وعلى الفور توجهت إلى وزارة الشباب وكان مقرها آنذاك فى عمارة بجاردن سيتى وعندما التقيته أخذنى من يدى وذهبنا معا إلى مكتب السيد وزير الشباب وكان آنذاك الرجل المؤدب الفاضل طلعت خيرى يرحمه الله وبعد مراسم الترحيب قال لى السيد الوزير: إننا بصدد تعيين مجلس إدارة لنادى الزمالك ونريد أن نأنس برأيك فمن ترشح من أبناء النادى لتولى رئاسة المجلس والعضوية؟ وعلى الفور قلت له: إن الوزارة قبل يومين شكلت مجلس إدارة النادى الأهلى وجاءت بالدكتور إبراهيم الوكيل الذى كان يشغل منصب وكيل النادى رئيسا لمجلس الإدارة وأضفت قائلا إنه يمكن القياس على ذلك وبالتالى يعين المهندس محمد حسن حلمى الذى كان فى المجلس المنحل وكيلا له رئيسا للنادى ويمكن فى هذه الحالة الالتقاء بالمهندس حسن حلمى ومعرفة رأيه فى الأعضاء الذين يشكلون المجلس؟ وابتسم السيد الوزير وقال: طيب إيه رأيك فى فهمى عمر عضوا بالمجلس حقيقة كانت مفاجأة سارة بالنسبة لى وتم تشكيل المجلس وصرت عضوا بالتعيين وظللت حوالى عامين وقامت الوزارة بعد ذلك وكان وزيرها الأستاذ الدكتور صفى الدين أبو العز أستاذ الجغرافيا والعالم القدير بتعيين نفس المجلس لمدة عامين آخرين وعلى رغم توقف النشاط الكروى إلا إن الفريق القومى كان دائما فى حالة استعداد لخوض تصفيات القارة الإفريقية واستطاع أن يصل إلى نهائيات البطولة الإفريقية التى أقيمت فى الخرطوم عام ١٩٧٠ وفى عام ١٩٧٠ عاد النشاط الكروى وكان لعودته قصة طريفة ففى تلك الأيام وبالصدفة البحتة التقى الكابتن لطيف – وهو فى زيارة الليثى عبدالناصر شقيق الرئيس عبدالناصر عندما ألم به المرض ودخل مستشفى المواساة بالإسكندرية – بالرئيس عبد الناصر الذى ذهب يعود أخاه، ويحكى الكابتن لطيف – رحمه الله – وفى وجود الفريق سعد متولى كبير الياوران الذى كان يرافق الرئيس أن الزعيم عبدالناصر تحدث معه ثم سأله أنتم مبتلعبوش كورة ليه يا لطيف؟

ولم يستطع الكابتن أن يجيب إذ كان المفهوم أن توقف الكرة كان بناءً على رغبة من القيادة أو على الأقل يصادف هوى فى نفس القيادة واعتبر الكابتن لطيف سؤال الرئيس عبدالناصر بمثابة قرار بعودة

الكرة وعلى الفور التقى سعد زايد – رحمه الله – وكان رئيسا لاتحاد الكرة وقص عليه ما حدث وعادت الكرة إلى الملاعب بعد توقف استمر ثلاثة مواسم وكان ذلك إيذانا بأن ينتهى عهد تعيين مجالس إدارة الأندية عن طريق وزارة الشباب وفتح باب الترشح فى الأندية لانتخاب مجالس إدارتها وفى مايو عام ١٩٧١ اجتمعت الجمعيات العمومية للأندية وأجرت انتخابات مجالس الإدارة تقدمت حينذاك لانتخابات مجلس إدارة نادى الزمالك وكانت معركة حافلة بالإثارة فأنا لست نجما كرويا صحيح لى قاعدة فى النادى ولكن كان لاعبو كرة القدم هم الذين يتدخلون بنجوميتهم فى ترجيح هذا أو ذاك من المرشحين وأحمد الله أننى اجتزت الانتخابات بنجاح باهر وجئت ثانيا بعد الكابتن يحيى إمام ابن النادى وكابتن الكرة فى سنوات الأربعينيات ومطالع الخمسينيات ووالد نجم النجوم حمادة إمام وأزعم أننى قمت بمجهود كبير لخدمة النادى يكفى أنه كانت هناك تلال من الأتربة نتيجة هدم بعض المواقع ومخلفات السور واتفقت مع وزارة الشباب لكى تزودنا بالمقاطف والجاروف وبدل صفراء وعربات نقل المخلفات وجمعت أكثر من مائة من شباب النادى وخطبت فيهم طالبا منهم المساهمة فى إزالة المخلفات وبعد أسبوع من العمل الشاق أزلنا تلك التلال من المخلفات وأقمنا على الأرض الفضاء حديقة للأطفال.

مشاكل العمل التطوعى ..

والعمل فى محيط الأندية – ولو كان الإنسان متطوعا يعطى وقته وجهده لا يبغى إلا وجه الله المولى عز وجل – عمل مرهق وشاق وأيضا لا يحظى بالقبول من البعض الذين يعتبرون بمثابة عواجيز الفرح فلاهم يعملون ولا يحبون من يعمل وواجهت العديد من الأسافين أثناء عضويتى بالمجلس فأحجمت عن الترشيح مرة ثانية على رغم حبى الشديد للزمالك ورغبتى الأكيدة فى خدمته ويكفى أن أقول إن حفلات شم النسيم كنت أجند لها كل معارفى من المطربين والفنانين ليأتوا إلى النادى متطوعين لإحياء اليوم كذلك دعوت بعضا من السادة الوزراء واحدا بعد الآخر فى مناسبات كانوا يلتقون فيها مع الأعضاء كما أقمت العديد من الأمسيات الدينية فى المناسبات مثل ليلة القدر ونصف شعبان.

وفى سياق الحديث عن الانتخابات فى الأندية والاتحادات الرياضية أذكر قصتى مع الانتخابات التى خضتها لعضوية مجلس إدارة اتحاد كرة القدم ففى سنة ١٩٧٧ اتصل بى الراحل فتحى نصير وكان يعمل سكرتيرا مساعدا باتحاد الكرة ليخطرنى أن ثلاثة أندية رشحتنى لعضوية مجلس الإدارة، كانت اللوائح تحتم على من يريد الترشيح لعضوية أى اتحاد رياضى أن يحصل على ترشيح ثلاثة أندية على الأقل، وكانت مفاجأة بالنسبة لى أن رشحنى نادى المياه ونادى المعادى الجديدة وناد مصنع ٢٧ الحربى وكلها من أندية الدرجة الثالثة والذى جمع لى هذه الترشيحات دون أن يخطرنى كان الكابتن «إبراهيم كيلة»، وكان مسئولا بنادى المياه وكان واحدا ممن يوافونى بنتائج أندية الدرجة الثانية التى كنا نقدم تعليقا عن مبارياتها على موجة إذاعة الشعب وقررت بينى وبين نفسى ألا أخيب عشم هذه الأندية المغمورة وكتبت استمارة الترشيح وقمت بنفسى بجولات فى بعض أندية القاهرة ثم سافرت إلى

الإسكندرية وقمت مع الكابتن إبراهيم الجوينى بزيارة لأندية الثغر السبعة التى لها أصوات انتخابية وأعطانى المسئولون عنها كلمتهم، ومن الإسكندرية اتصلت باللواء عبد الحليم حتاته – رحمة الله عليه – وكان محافظا للبحيرة وكان صديقا كريما وأخبرته أننى سأزوره فى الغد راجيا مساعدته فى أن تعطينى أندية البحيرة وعددها خمسة أصواتها فى الانتخابات ورحب بى الرجل فى مكتبه واتصل برئيس المنطقة ليؤيدنى فى الانتخابات ومن مكتب المحافظ فى البحيرة اتصلت بالسيد محافظ الغربية الرجل الفاضل الأستاذ «أحمد القصبى» – يرحمه الله – وقال له اللواء حتاتة أنه يود أن يقوم بمساعدتى وتزكيتى لدى رئيس منطقة أندية بحرى المهندس عبدالقادر أبوفريحة، وكان عدد أندية بحرى كبيرا يصل إلى تسعة وثلاثين ناديا ووصلت مع الظهر إلى طنطا واستقبلنى السيد المحافظ واتصل بأبوفريحة وقال له: إن فهمى عمر فى مكتبى وأنا أزكيه فإذا كنت ستزكيه كان بها وإذا كان العكس فإننى – أى السيد المحافظ – سأتناول معه طعام الغداء ثم أودعه ليعود إلى القاهرة وإذا بعبدالقادر أبو فريحة يرحمه الله يقول بل أنا يا سيادة المحافظ سأقدم له الغداء على مائدتى وأصواتنا معه إن شاء الله.

أما أندية الصعيد الخمسة والعشرون فقد اتصلت بشأنها بالمحافظ محمد عثمان إسماعيل محافظ أسيوط – يرحمه الله – وقلت له شوف يا عم محمد أنا داخل انتخابات اتحاد الكرة ولو أعطتنى أندية الصعيد أصواتها ولم أوفق فى الانتخابات فأننى سأعتبر نفسى قد نجحت وإذا نجحت دون أن أحصل على أصوات كل أندية الصعيد فسأعتبر نفسى قد سقطت فى الانتخابات وجاءنى صوته ضاحكا عبر الهاتف وقال لى لا تهتم لا داعى لها أرجو ذلك وجاء يوم الانتخابات وازدحم مبنى اتحاد الكرة بأكثر من مائة مندوب من الأندية وأعلنت النتيجة فإذا بى اكتسح الانتخابات وجاءنى من أعيدت الانتخابات بينهم وكان منهم نجوم كرويون يطلبون منى أن أقف معهم بأصواتى فى الإعادة وهم لا يعلمون أننى لا أعرف إلا القليلين من أصحاب الأصوات فقد أعطونى أصواتهم لأنهم يعرفوننى من التعليق الكروى ولأن بعض الكرماء وقفوا معى وكانوا فى صفى ونفس الأمر الذى واجهته فى نادى الزمالك واجهته أيضا فى اتحاد الكرة فلا أحد يسمع الرأى ولا أحد يناقش فى مصداقية ولذلك لم يعجبنى الجو وآثرت بعد ذلك ألا أخوض التجربة مرة ثانية.

الملجأ فى الجنوب ..

كل مرة يزيد عشقى للأشقاء فى الجنوب ودائما أقول إنه ليس لنا من منفذ إلا السودان فإذا ضاقت الحياة – لا قدر الله – فإن الملجأ هو السودان إذ يستطيع الواحد منا أن يسير على شاطئ النيل حتى يصل السودان دون أن يعطش أما لو اتجه غربا أو شرقا فإن الصحراء لن ترحمه من شدة القيظ ولن يجد الماء الذى يشربه أو يرطب به حرارة الجو وهذا بالطبع تعبير مجازى عن ضرورة أن تكون الروابط قوية ومتينة بيننا وبين الأشقاء فى السودان. وأن النيل هو شريان الحياة الذى يمد البلدين بالماء والنماء،

سافرت إلى السودان لأول مرة فى سنة ١٩٥٧ عندما أقيمت أول بطولة لكأس أمم إفريقيا ويتبارى فيها ثلاث فرق فقط هى فرق مصر وأثيوبيا والسودان وكان مقررا أن تشارك جنوب إفريقيا واشترطت أن تمثل بفرق من البيض فقط ولكن الاتحاد الإفريقى لكرة القدم الذى تأسس فى الأصل من هذه الدول الأربع رفض ذلك مقررا أنه لابد وأن يكون هناك لاعبون من أبناء البلد السود ولما كان ذلك يتنافى مع العنصرية التى كانت عليها حكومة جنوب إفريقيا فقد أسقط الاتحاد عضوية جنوب إفريقيا وبالتالى لم يشارك النظام العنصرى فى البطولة وفازت مصر بالبطولة بعد أن تغلبت على أثيوبيا ٤/ صفر وعلى السودان ٢/ ١ وخلال هذه البطولة كان السيد العقيد سعد زايد – رحمه الله – يشغل منصب المستشار العسكرى فى سفارة مصر بالسودان وتعرفت إليه وكان مولعا بكتابة القصص القصيرة وقدم لى عدة قصص أذعتها تباعا فى مجلة الهواء، وتشاء الظروف أنه بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ يصبح سعد زايد رئيسا لاتحاد الكرة وكان وزيرا للإسكان وظل كذلك حتى انهيار ما كان يسمى بمراكز القوى وتمضى سنوات طويلة حتى قدر لى أن أذهب إلى الخرطوم وكان ذلك فى سنة ١٩٧٠ عندما نظمت السودان بطولة كأس الأمم الإفريقية لكرة القدم، كان عدد دول البطولة قد تضاعف وأصبح العدد ثمانى دول وصلت إلى النهائيات وقسمت إلى مجموعتين ولعبنا فى المجموعة الثانية التى أقيمت مبارياتها فى مدينة وادمدنى وأمضيت فى وادمدنى قرابة عشرة أيام لعبنا خلالها ثلاث مباريات فى المجموعة وجئنا على رأس هذه الفرق وفى واد مدنى، اسكننا الأخوة السودانيون فى مدرسة من المدارس، وكنا نفترش أرض أحد الفصول ومعى مجموعة الزملاء من رجال الإعلام نجيب المستكاوى وعبد المجيد نعمان ومحيى الدين فكرى وصلاح المنهراوى وخلال هذه المدة كنا محل الحفاوة فى واد مدنى وكم من مآدب إفطار وعشاء أقيمت لنا من أخوة لا نكاد نعرفهم اللهم إلا صلة الأخوة والمحبة، وبعد انتهاء الأدوار التمهيدية ذهبنا إلى الخرطوم والتقينا مع الفريق السودانى فى الدور النهائى وأذكر أن النتيجة كانت فى صالح الفريق السودانى ولكن العجب العجاب أن أكثر من لاعب من خطوط الفريق كان ينفرد بالمرمى السودانى ولكن كرته كانت تطيش حتى إن اللاعب الشاذلى الذى صنع عدة أهداف محققة وكذلك مصطفى رياض وكذلك على أبوجريشة قالوا لى: إنه لابد وأن يكون الأشقاء قد عملوا أحجبة وضعوها فى الشبكة حتى لا تدخل الكرة فى المرمى، وأذكر أننى من شدة الحر خلعت البدلة وقمت بشراء جلبابين على التفصيل السودانى لونهما أبيض واشتريت ثلاثة أمتار بيضاء لزوم العمة وأصبحت وأنا أجلس فى تراس الفندق الكبير فى الخرطوم أو فى الملعب عندما أذيع المباريات وكأننى واحد من أبناء السودان حتى إن أعضاء البعثة كانوا يندهشون وهم يرونى فى الزى السودانى.

النكسة وأشياء أخرى !! ..

قبل تلك البطولة نزلنا فى مطار الخرطوم ليلة الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ عائدا من كمبالا وكانت أياما قاسية وخفف من قسوتها ما لقيناه من كرم ضيافة من الأشقاء فى السودان وهى الرحلة التى

عانينا فيها الأمرين حيث ركبنا القطار من الخرطوم إلى وادى حلفا ومنها إلى أسوان فى الباخرة النيلية على سطح مياه بحيرة ناصر. المرة الخامسة التى زرت فيها الخرطوم كانت فى نوفمبر سنة ١٩٨٣ وكانت زيارة رسمية حيث صاحبت السيد وزير الإعلام للاتفاق على بث إذاعة وادى النيل من القاهرة والخرطوم وبنفس الحفاوة والكرم استقبلنا وزير الإعلام السودانى وأمضينا ثلاثة أيام لن أنساها، أقول ذلك وأحكيه لعمق الروابط والجذور للأخوة التى تمتد فى تربة وادى النيل شماله وجنوبه وكم أتوق إلى يوم أرى فيه تكاملا تاما بين البلدين وفى مختلف مجالات الحياة سياسية واقتصادية واجتماعية، ولعلى فى هذه المناسبة أذكر شيئا لطيفا ففى سنة ١٩٥٧ سافرت مع الوفود الشبابية من مختلف أنحاء عالمنا العربى للمشاركة فى أعياد الشباب التى أقيمت فى موسكو وجاء الروس بباخرة ضخمة جمعت أكثر من ألف من شباب مصر والسودان وسوريا ولبنان وفلسطين والعراق والأردن. ففى الإسكندرية ركب الباخرة الوفدان المصرى والسودانى وفى اللاذقية ركبت الوفود الأخرى. وكان معنا فى الباخرة شاب سودانى من أسرة غنية ويعمل بالمحاماة ولا أتذكر إلا اسمه الأول وهو «على» وكان على الباخرة أيضا طالبات المعهد العالى للتربية الرياضية برياسة العميدة الفاضلة نفيسة الغمراوى حيث كانت من بين الفقرات التى سيقدمها شباب مصر عروض من طالبات المعهد ولفتت إحدى الطالبات نظر الأخ «على» الذى جاءنى يبث لهيب قلبه وقلت له ما عليك إلا أن تعرض مطلبك بالزواج منها وأزعم أننى قمت بهمزة الوصل بين الطرفين سواء فى رحلة الذهاب أم رحلة العودة بالباخرة حيث استغرقت الرحلة بما فيها أيام المهرجان أكثر من شهر، ونسيت أنا الموضوع بعد العودة وبعد حوالى سنتين قرأت مقالا للراحل الصحفى الكبير موسى صبرى قال فيه: إنه تعرف فى الخرطوم إلى محام وزوجته المصرية وأنهما قاما باستضافته فى منزلهما الجميل المطل على نيل الخرطوم وسأل موسى صبرى عن قصة زواج المحامى الأخ «على» بزوجته المصرية فقصا عليه أنهما كانا من بين المشاركين فى أعياد الشباب فى موسكو سنة ١٩٥٧ وأنهما تعارفا على ظهر الباخرة التى أقلت جموع الشباب وأن الداعم الرئيسى للزواج كان فهمى عمر المذيع بإذاعة القاهرة الذى كان رسول الغرام بين الطرفين أثناء رحلة الباخرة من الإسكندرية إلى أوديسا على شاطئ البحر الأسود عقب قراءتى للمقال اتصلت بالأستاذ موسى صبرى تليفونيا فحكى لى القصة بحذافيرها وكيف أن الشاب السودانى جاء هو وأسرته إلى القاهرة وتقدموا إلى أسرة الطالبة المصرية وتم الزواج وأنجبا ولدا وهناك فى الطريق حمل آخر وهناك طرفة أخرى حدثت وأنا فى الخرطوم فى بطولة كأس أمم إفريقيا سنة ١٩٧٠، أيامها كان اللاعب السودانى عمر النور من أبرز لاعبى الزمالك وكان هدافا رائعا والغريب أن المنتخب السودانى لم يفكر فى ضمه إلى صفوفه ليلعب مباريات البطولة وأذكر أنه جاءنى الصحفى والناقد الرياضى الأشهر فى السودان الراحل عمر عبد التام وسألنى عن رأيى فى المنتخب السودانى ومن من لاعبيه الذى أثار إعجابى فقلت له ضاحكا عمر النور وضحك عمر كثيرا العجيب أنه نشر القفشة فى صفحته الرياضية فى اليوم التالى. أقول ذلك واحكيه مرة أخرى لأبين أنه يجب أن نبذل قصارى الجهد من أجل تكامل تام بيننا وبين السودان.

الفصل الثالث عشر

دورة المكسيك وكأس العالم للسلة والقدم

قرب موعد بدء كأس العالم لكرة القدم سنة ١٩٧٠ والتى أقيمت مبارياتها فى المكسيك وكنت قد سافرت إلى المكسيك سنة ١٩٦٨ عندما نظمت الدورة الأوليمبية ويعجب الإنسان كيف أن بلداً لا يعتبر فى عداد البلدان الغنية استطاع على مدى سنتين أن ينظم حدثين رياضيين باذخين ولكنه التنظيم الدقيق والتفوق على الذات هو الذى جعل المكسيك تنظم باقتدار هذين الحدثين العالميين، وإذا كنت قد سافرت إلى المكسيك سنة ١٩٦٨ فذلك لأننا شاركنا فى الدورة الأوليمبية بفرق رياضية ولذلك كان طبيعياً أن توفد الدولة وفداً إعلامياً ليغطى الفعاليات التى تشارك فيها الفرق الرياضية المصرية ولكن لظروف النكسة اقتصر الوفد الإعلامى على أربعة أشخاص فقط هم نجيب المستكاوى عن الأهرام وعبد المجيد نعمان عن الأخبار وناصف سليم عن الجمهورية وشخصى الضعيف عن الإذاعة، وسافرنا إلى المكسيك عبر مطار نيويورك الأمريكى ومنه بالطائرة إلى مدينة المكسيك.

وكان فى استقبال البعثة الرياضية العاملون فى السفارة المصرية وبعض من أفراد الجالية العربية التى تعيش أبا عن جد فى المكسيك وهم أبناء المهاجرين الأوائل الذين تركوا بلاد الشام قبل قرن من الزمان واستوطنوا فى بلدان أمريكا اللاتينية وقدم لنا أبناء هذه الجالية الورد وكان أغلبهم لا يعرف حرفاً من اللغة العربية وأذكر أن واحداً منهم وكان شديد الغنى دعا البعثة جميعها إلى حديقة قصره وأقام لنا وليمة عشاء فاخرة وكان اسمه عمر الخشاب وفى نهاية السهرة قدم لكل مسئول فى البعثة صندوق سيجار فاخر وعلى كل سيجار اسم المهدى إليه وكان الصندوق يحتوى على خمسين سيجاراً فاخراً لا يقل طول السيجار عن عشرين سنتيمتراً وكنت أقيم أنا والزملاء الصحفيون فى فندق خمس نجوم خصصته اللجنة المنظمة للدورة الأوليمبية لرجال الإعلام من مختلف دول العالم وأذكر أن تكلفة الفرد إقامة ووجبات كانت بمقدار أربعة عشر دولاراً أمريكياً فقط فى حين أن قيمة الإقامة بالإفطار فقط المكتوبة فى خلفية باب الحجرة كانت مائة دولار بالتمام والكمال، ولكنها الرياضة والدورات الأوليمبية التى كانت فى تلك الأيام مجالاً تتنافس فيه الدول المنظمة ومن منها أشد كرماً مع الإعلام فالآن لم تعد الدول التى تنظم الدورات الأوليمبية أو الأحداث العالمية تقدم مساعدة لأى شخص إن مثل هذه الأحداث الرياضية أصبحت مجالاً تربح منه الدول المنظمة بعد دخول النظم الاحترافية فى أمور الرياضة وهى النظم التى وضعتها الولايات المتحدة عندما نظمت الدورة الأوليمبية فى لوس أنجلوس سنة ١٩٨٤ وحققت منها

أرباحـا جنتها اللجنة المنظمة فى حين أن مونتريال التى نظمت الدورة الأوليمبية سـنة ١٩٧٦ مازالت تدفـع أقسـاط الديون التى ترتبت علـى تنظيم الدورة، وعندما نتحدث عـن رحلتى إلى لوس أنجلوس لتغطية الدورة الأوليمبية سأحكى كيف تحقق الربح الكبير من وراء خطط وضعتها اللجنة المنظمة للدورة اسـتغلت من خلالها الحدث الأوليمبى وحققت أرباحا مذهلة، ونعود إلى المكسـيك وكيف أنها نظمت دورة أوليمبية بصورة جيدة وأقول إنه بعد وصولنا إلى مدينة المكسـيك. وأثناء فعاليات الدورة توفى فى القريـة الأوليمبية البطل الأوليمبى السـابق ومدرب فريق المصارعة المشـارك فى الـدورة المصارع العظيم إبراهيـم مصطفى الذى كان صاحـب أول ميدالية ذهبية حققتها مصر فى الدورات الأوليمبية عندما فاز ببطولة وزنه فى المصارعة فى دورة أمسـتردام سنة ١٩٢٨، وتجمعنا نحن الإعلاميين مع إداريى الدورة لنودع البطل وننقل جثمانه إلى المطار، وكان يقودنا المرحوم أحمد دمرداش تونى عضو اللجنة الأوليمبية الدولية الذى أشرف بنفسه على تجهيز الجثمان وتغسيله وتلقينه حسب قواعد الشريعة الإسلامية وقمنا بحمل الصندوق الذى يحتوى على الجثمان وسرنا به فى جنبات القرية الأوليمبية فى جنازة صامتة ثم أودعناه فى سيارة الإسعاف وخلفها عدة سيارات من السفارة المصرية فحملتنا حتى مطار مدينة المكسيك ليعود البطل إلى الإسكندرية مسقط رأسه وليحتشد فى جنازته الآلاف من أبناء الثغر ومن الرياضيين.

ولقـد كانت دورة المكسـيك الأوليمبية دورة مثيرة خاصة فيما يتعلق بما صنعه أبطال أمريكا السـود عندمـا كانوا يعطون ظهورهم أثناء عزف النشـيد الأمريكى أثناء فوز واحـد منهم بميدالية ذهبية، فقد كانت هناك فى تلك الأيام حركة تذمر فى صفوف الأمريكيين السـود مطالبين بمزيد من الحقوق خاصة بعـد أن تم اغتيـال البعض من زعمائهم المناضلـين ضد التفرقة العنصرية ولعلـى أذكر فى هذا المجال اللاعب بوب بيمون الزنجى الأسود الذى حقق معجزة فى مجال الوثب الطويل ومضى أكثر من عشرين عاماً إلى أن جاء واحد من أبناء جلدته من السود الأمريكيين فحطم الرقم فى بطولة العالم لألعاب القوى ١٩٩٠، كنـت أجلس إلى جوار الناقد الكبير الأسـتاذ نجيب المسـتكاوى الذى كان موسـوعة رياضية متحركة وقاموسـا تحتشـد بين ضفتية معلومات غزيرة عن الرياضة ولعباتها وأرقامها القياسـية وأسماء الأبطال وغير ذلك من المعلومات، وكنا معاً نشـهد نهائيات ألعاب القوى جلوسـاً فى مدرجات اسـتاد «الأزتيك» الذى شـيدته المكسيك بمناسـبة الدورة وعندما قفز ووثب بليمون فى وثبته الرائعة صاح عمنا نجيب قائلا يالليهول إن هذه الوثبة أشـبة بالمعجزة وسـتظل معجزة حتى إشعار آخر ولسنوات طويلة، وبالفعل أعلن الحكام الرقم المذهل، وهو ثمانية أمتار وتسـعون سـنتيمترا وتحقق ما قاله عمنا نجيب إذ لم يحطم الرقم إلا بعد سنوات عديدة كما أشرنا سابقاً.

يونيو والحزن الدفين!! ..

وكان المغتربـون مـن أبناء العروبة فى المكسـيك عندما يقومون بزيارتنـا أو يدعوننا إلى منازلهم نكاد نشـعر بالألم الدفين الذى يعتمل فى قلوبهم من جراء ما حدث للأمة العربية فى نكسـة ١٩٦٧، كانوا على الدوام يناقشوننا فيما حدث ويتساءلون عن الأسباب وكيفية الخروج من المأزق، ولا أنسى فرحتهم

عندما كانت تأتى الأنباء بما يقوم به أفراد القوات المسلحة أثناء حرب الاستنزاف وكانت الفرحة على وجوههم وهم يتغنون بإغراق الباخرة إيلات بل إنهم أقاموا حفلاً فى مقر إحدى جمعياتهم وأذكر أنهم حزنوا كثيرا ونحن معهم عندما جاءت الأنباء تقول إن العدو قام بتدمير محطة الكهرباء بصحراء «هو» التابعة لمركز نجع حمادى، وكذلك ألقى قنبلتين على خزان نجع حمادى وكوبرى قنا. وبمناسبة الحديث عن محطة كهرباء نجع حمادى أقول إن هذه المحطة تقع على مبعدة ثمانية كيلو مترات فى قريتى وهى محطة تستقبل كهرباء السد العالى وتوزعها على محطات أخرى صغيرة القوة تسهم فى إدارة قوى مصنع الألومنيوم وإنارة القرى فى المنطقة وأذكر أن الفنى الذى كان من بين العاملين فى المحطة يوم الحادث هو واحد من أبناء قريتى وقد قص علىَّ ما حدث فقال: إنه فوجئ بالإسرائيليين يدخلون المحطة ويضعون فيها الألغام والقنابل وقال لى إنهم نزلوا من الهليكوبتر التى أقلتهم على مسافة كيلو متر من المحطة وكانت الليلة حالكة السواد ومخافة أن يتوهوا عن الطائرة بعد العملية رشوا على الأرض ما يشبه الفوسفور ليهتدوا على ضوئه فى أثناء العودة، لقد كانت لحظات كئيبة تلك التى قضيناها فى المكسيك ونحن نقرأ الأنباء المتعلقة بهذه الأحداث وإن كان يخفف منها ما نقرؤه أيضاً من أعمال يقوم بها الفدائيون فى قلب سيناء وكيف أن أبناء القوات المسلحة كان يغيرون على مواقع العدو ويكبدونه خسائر فادحة فى المعدات والأرواح.

تغطية تليفزيونية

وأعود إلى البداية التى بدأت بها هذا الموضوع وهى المتعلقة بكأس العالم لكرة القدم بالمكسيك سنة ١٩٧٠ وأقول إن موعده أصبح قريباً وإذا كنت قد سافرت إلى المكسيك قبل عامين فذلك لأننا كنا مشاركين فى الدورة الأوليمبية ولكننا لم نصعد إلى نهائيات كأس العالم فى تلك السنة ومن هنا فإنه لم يكن جائزاً أن أطلب من المسئولين بالإذاعة أن أقوم بتغطية الحدث والسفر إلى المكسيك، ولما كانت مشاهدة مباريات كأس العالم لكرة القدم متعة جميلة فى حد ذاتها ولما لم يكن التليفزيون قد استعد أو عمل جهدا من أجل إذاعة مبارياتها بل وليست لديه إمكانية نقلها لأننا لم يكن لدينا أقمار صناعية، إذن ما العمل حيث إنى أعتبر أن مشاهدة كأس العالم هى متعتى وهوايتى وانتهزت فرصة أننى قبل بدء كأس العالم سأكون مصاحبا لفريقنا القومى فى كرة السلة الذى يشارك فى بطولة العالم لكرة السلة التى نظمتها يوغوسلافيا فى مدينة لوبليانا عاصمة سلوفينيا وذلك أيام أن كانت يوغوسلافيا عبارة عن اتحاد يضم عدة أقاليم منها كرواتيا والبوسنة والهرسك والجبل الأسود وسلوفينيا، كانت بطولة العالم لكرة السلة فى مايو من تلك السنة وما أن تنتهى بأسبوع أو عشرة أيام إلا وتبدأ أحداث كأس العالم لكرة القدم، واتفقت مع الكابتن لطيف رحمه الله على أن نسافر إلى لندن لنشاهد مباريات كأس العالم على شاشة التليفزيون الإنجليزى وصادف الأمر هوى فى نفس الكابتن الذى وافق على الفور وجعلنا من الرحلة إجازة لنا ولأسرتينا وقبل أن أسافر إلى لوبليانا جهزت كل الأمور من استخراج الباسبورتات

والحصول على الفيزات ورتبت الرحلة بحيث أسافر من لوبليانا إلى روما وهناك تكون زوجتى وأسرة الكابتن لطيف قد وصلوا إلى إيطاليا ونمضى فى روما بضعة أيام لنسافر بعد ذلك إلى باريس وبعد أن نقوم بزيارة باريس لمدة أربعة أيام أيضاً لنتوجه إلى لندن لنمكث أكثر من ثلاثة أسابيع نشاهد خلالها مباريات كأس العالم، لابد من التنويه والحديث عن كأس العالم لكرة السلة الذى نظمته يوغوسلافيا فأقول إننى سافرت بمفردى من القاهرة إلى بلغراد ومنها إلى مدينة لوبليانا، وهى مدينة جميلة تطل على بحر الأدرياتيك فى أقصى الشمال، وسلوفينيا إقليم غنى فيه صناعات كثيرة ولذلك فإن أهله أحسن حالاً من سكان الجنوب اليوغوسلافى مثل البوسنة والهرسك والجبل الأسود.

تنظيم رائع ..

وعندما وصلت إلى اللجنة المنظمة للبطولة فى الصالة المغطاة بلوبليانا وجدت أنهم حجزوا لى فى فندق يتبع هيئة النقل العام ولذلك فهو قريب من جراج الهيئة وكنت أركب المواصلات مجاناً بحكم أننى صحفى يغطى البطولة العالمية وكنت أركب الأتوبيس من أول الخط حتى محطة الصالة المغطاة التى تقام فيها البطولة وليس هناك من الركاب إلا فرد أو اثنان وأشهد أن يوغوسلافيا نظمت بطولة غاية فى الروعة وكانت تقدم لرجال الإعلام المشروبات الخفيفة والشاى والقهوة بالمجان من بوفيه الصالة وأمضيت هناك أسبوعين فى صحبة جميلة مع المسئولين عن كرة السلة الراحلين عبدالمنعم وهبى الذى كان رئيساً للاتحاد الدولى لكرة السلة وعبد العظيم عشرى رئيس الاتحاد المصرى لكرة السلة ويشغل فى نفس الوقت منصب السكرتير العام المساعد للاتحاد الدولى وكانت مباريات البطولة غاية فى الإثارة وكانت رسائلى الصوتية تذاع عقب نشرة الساعة الحادية عشرة مساء وكان المنتخب اليوغوسلافى منتخباً عاتياً قوياً أحرز البطولة بكل سهولة وتغلب على منافسيه الروس والأمريكان وبالطبع لم يصنع منتخبنا شيئا فالقوى التى تلعب لها ثقلها فى هذه الرياضة ونحن ما سافرنا إلا لأننا كنا أبطال القارة الإفريقية أى اشتركنا ممثلين لإفريقيا صحيح لعب المنتخب بروح عالية ولكن ذلك لم يقدم أو يؤخر أمام منتخبات تلعب كرة السلة كما يجب أن تلعب وبعد انتهاء البطولة وصلت إلى روما وحسب الاتفاق وجدت الكابتن لطيف فى انتظارى فى الموقف الذى تقف فيه السيارات الخاصة بالمطار والتى تحمل ركاب الطائرات إلى قلب المدينة وكانت زوجتى تنتظرنى مع الكابتن وابنته وابنه إبراهيم مخرج البرامج الرياضية فى التليفزيون رحمه الله وأمضينا فى روما بضعة أيام شاهدنا معالمها وزرنا متاحفها كما زرنا الفاتيكان ومن روما توجهنا إلى باريس وكانت المرة الأولى التى أزور فيها عاصمة النور، حقيقة إنها عاصمة النور، ولا أدرى لماذا يحس الإنسان بطعم خاص ومذاق مختلف لهذه المدينة وأشهد أننى لم أقع فى غرام مدينة إلا باريس على رغم المدن العديدة التى زرتها وتجولنا فى مناحى باريس وزرنا قصر فرساى وصعدنا إلى أعلى برج إيفل وزرنا متحف اللوفر وحقيقة استمتعنا بالمدينة، وأقول فى هذا المجال إن الكابتن لطيف – يرحمه الله – إدارى من الطراز الأول فهو لا تفوته شاردة ولا واردة فى عمليات

التنظيم والإدارة فهو قبل أن نسافر من القاهرة حجز لنا جميعاً فى أحد بيوت الشباب فى باريس، وبيوت الشباب فى أوروبا لا تقل نظافة ولا خدمة متميزة عن الفنادق الكبرى على رغم الأجر الزهيد الذى تتقاضاه من النزيل الذى لابد وأن يكون عضوا فى بيوت الشباب فى بلده وبالطبع. وقد حرص الكابتن لطيف على أن يستخرج لنا جميعاً العضوية من جمعية بيوت الشباب فى مصر كان التوقيت فى نوتة الكابتن لطيف بالدقيقة ففى الساعة كذا سنزور المكان الفلانى وفى الساعة كذا نتناول الغداء وفى التوقيت المعين نستقل التاكسى إلى المطار وهكذا وبعد أيام جميلة فى باريس وصلنا إلى لندن، كان الكابتن قد حجز لنا أنا وزوجتى فى أحد الفنادق أما هو وأسرته فقد استأجروا شقة وكنا على اتصال دائم معاً، ومن المفاجآت السارة أننى فى أول يوم لى فى الفندق وفى صالة الطعام شاهدت الكابتن عبدالمجيد نعمان جالساً إلى مائدته وفوجىء الرجل والعجيب أنه جاء إلى لندن ليشاهد مباريات كأس العالم على شاشة التليفزيون البريطانى ويعلق عليها ويرسل بتعليقاته إلى جريدة الأخبار، كنت أنا والكابتن نعمان نلتقى فى صالون الفندق حيث يوجد جهاز تليفزيون كان يبث المباريات ونظل نشهد المباريات واحدة بعد الأخرى حيث كانت تذاع المباريات يوميا، وعشت أحداث كأس العالم لكرة القدم فى لندن على مدى ثلاثة أسابيع كنت فى الصباح أتجول مع زوجتى فى شوارع لندن ثم أعود إلى الفندق لأتابع مشاهدة المباريات وحقيقة فإن عشقى للرياضة عامة وكرة القدم بصفة خاصة هو الذى جعلنى أصرف من جيبى على رحلة أقوم بها إلى إنجلترا لأتابع المشاهدة على المباريات، المهم أننى أمضيت الأسابيع الثلاثة فى متابعة كأس العالم وشاهدت الأحداث التى بلغت الذروة خلال المباراة النهائية التى ضمت إيطاليا والبرازيل خاصة وأن إيطاليا التى افتتحت التسجيل بهدف ولكن منتخب السامبا فاجأ الجميع بأهدافه الأربعة ليحمل بيليه أسطورة كرة القدم كأس البطولة فى نهاية المباراة عندما توجت البرازيل بطلة للعالم فى كرة القدم.

□□□

الفصل الرابع عشر

يوم فلسطين فى الأولمبياد

كانت ساعات ولحظات قاسية بالتوجس والترقب تلك التى أمضتها البعثة الرياضية المصرية المشاركة فى الدورة الأوليمبية التى نظمتها ألمانيا فى مدينة ميونيخ عام ١٩٧٢ فقبل أن تنتهى الدورة بأقل من أسبوع هاجم الفدائيون الفلسطينيون مقر الوفد الإسرائيلى فى القرية الأوليمبية واحتجزوا الرياضيين والإداريين المقيمين فى المقر مطالبين بفك أسر الوطن السليب وإشعار العالم أجمع أن هناك مأساة يعيشها الشعب الفلسطينى المطالب بحقه فى الحياة وأن هناك قضية هى قضية فلسطين يجب على الدنيا بأسرها أن تجد حلا لها ولم يكن التوجس والترقب مقصورا على البعثة المصرية فقط بل شمل هذا التوجس كل الفرق الرياضية التى كانت هى الأخرى تقيم فى القرية الأوليمبية وبداية أقول إننا نحن الوفد الإعلامى المصاحب للبعثة الرياضية المصرية إلى ميونيخ قبل بدء الدورة بأسبوع وبعد أن وصلنا من المطار إلى المركز الإعلامى للجنة المنظمة للدورة قاموا بإسكاننا فى شقة فى إحدى البنايات داخل القرية الأوليمبية حيث خصصوا عددا من البنايات الضخمة لإقامة رجال الإعلام من مختلف الدول وكانت القرية الأوليمبية تضم أيضا الرياضيين من دول العالم كما تضم المركز الصحفى واستديوهات الإذاعة والتليفزيون التى يقوم الإعلاميون من خلالها بإرسال برقياتهم ورسائلهم الصحفية الإذاعية والتليفزيونية وفى هذا السياق أقول: إن الألمان خططوا لدورتهم الأوليمبية تخطيطا بالغ الدقة مثلا القرية الأوليمبية أقاموها بحيث تكون سكنا لآلاف الأسر بعد انتهاء الدورة.

قرية مجانية !!

بل إنهم أنشأوها دون أن تتكفل الدولة ماركا واحدا ذلك أنه منذ أن عرفوا أن اللجنة الأوليمبية الدولية قد وافقت على أن تقوم ألمانيا بتنظيم الدورة الأوليمبية عام ١٩٧٢ خططوا لإنشاء القرية الأوليمبية فى أرض واسعة فضاء على مشارف ميونيخ وقاموا برسم خرائط للمنازل التى سيبنونها، شقق من خمس حجرات وأخرى من أربع وهكذا وعرضوا الخرائط على الجمهور وحددوا ثمنا لكل شقة وعلى الراغب فى الشراء أن يدفع الثمن على أقساط وكان ذلك قبل بدء الدورة بست سنوات وعلى مدى هذه السنوات أقاموا البناء والمرافق وزرعوا الأشجار على جانبى الشوارع التى أطلقوا عليها أسماء الأبطال الأوليمبيين منذ أول دورة أوليمبية أقيمت باليونان عام ١٨٩٦ وحتى آخر دورة أطلقت بالمكسيك عام ١٩٦٨ وهكذا يكون التخطيط ويكون التنظيم.

وأعود إلى ما كنت أقوله فى البداية بخصوص تلك الساعات القلقة التى عشناها بسبب أحداث الفدائيين الفلسطينيين فى القرية الأوليمبية فأقول: إنه فى تمام الساعة التاسعة من صباح الليلة التى اقتحم فيها الفدائيون مقر البعثة الإسرائيلية وجدت أحد أفراد البعثة الإعلامية الإيرانية الذين كانوا يقطنون الشقة المجاورة لنا يدخل صائحا وهو يقول: مستر عمر مستر عمر وفى إنجليزية مكسرة فهمت منه أن الفدائيين الفلسطينيين يحتجزون أفراد البعثة الرياضية الإسرائيلية وأن الشرطة الألمانية تنتشر فى جنبات القرية وأن الأمور بالغة الخطورة أيقظت الزملاء نجيب المستكاوى ومحيى الدين فكرى وعبد المجيد نعمان وناصف سليم وفايز الزمر من نومهم مذعورين فقد أحسسنا جميعا أن الأمور لابد أن تتطور فى غير صالح البعثات العربية بل إننا أحسسنا أن فعاليات الدورة نفسها سيشوبها التأجيل وأن الغيوم ستلبد سماء الأولمبياد ونظرت من النافذة لأجد شوارع القرية الأوليمبية تكاد تكون خالية من البشر اللهم إلا عربات الشرطة تروح وتجىء وعشرات من الجنود يحتلون النواصى والأرصفة كان عبد العزيز الشافعى بطل السباحة المعروف وسكرتير مساعد اللجنة الأوليمبية هو مدير البعثة الأوليمبية وكان هناك السيد عبد المنعم وهبى رئيس الاتحاد الدولى لكرة السلة ورئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة مدعوا من قبل الدورة وكان هناك أيضا أحمد دمرداش التونى عضو اللجنة الأوليمبية الدولية ودقت التليفونات فى كل الأماكن فى أنحاء القرية الأوليمبية تطلب اجتماعا عاجلا لكل المسئولين فى صالة اللجنة المنظمة للتشاور فى الأمر وتحدد لذلك الساعة الواحدة بعد الظهر واجتمعنا جميعا فى الموعد المحدد وقال السيد عبد المنعم وهبى – يرحمه الله – إن على جميع أفراد البعثة اتخاذ الحرص والحيطة وعدم النزول إلى وسط المدينة والبقاء فى محيط القرية الأوليمبية حتى إشعار آخر وهنا جاء مسئول من اللجنة المنظمة ليتشاور مع أحمد دمرداش تونى.

وعلمنا أن المسئول الألمانى يطلب أن يقوم أحد المسئولين فى البعثة الرياضية المصرية بالتفاهم مع الفدائيين الفلسطينيين ليتعرف إلى شروطهم ومقترحاتهم بغية الوصول إلى حل للأزمة وهنا وقف السيد عبد العزيز الشافعى وقال: إنه على استعداد للقيام بهذا الدور ووافق التونى وعبد المنعم وهبى وقام الشافعى واتصل تليفونيا «بالبيبى إكس» ليتعرف إلى رقم تليفون البعثة الإسرائيلية ولما عرف الرقم تم الاتصال ورد عليه أحد الفدائيين وعرفه الشافعى بنفسه وقال إنه يريد أن يحضر إلى المقر الذى يحتجزون فيه الرياضيين الإسرائيليين ليناقش معهم مطالبهم وأنه موفد من قبل الجانب الألمانى لهذا الغرض وتمت الموافقة على أن يحضر الشافعى وأن يكون بمفرده وأنه محظور أن يكون هناك رجال شرطة وأمن على مسافة كبيرة من المقر وأن يسير الشافعى فى خطوة هادئة غير متسرعة وأن وأن ...الخ الشروط التى قالها الفدائيون وغادر الشافعى المكان الذى كنا مجتمعين فيه ونحن مشفقون عليه غاية الإشفاق خشية أن يحدث له أى مكروه وتابعناه وهو يسير على قدميه حتى غاب عن أعيننا فى شوارع القرية الأوليمبية متجها إلى مقر البعثة الإسرائيلية وغاب الشافعى حوالى نصف ساعة ليعود بعدها ويلتقى مع مندوب

الجانب الألمانى الذى انضم إليه عدد من المسئولين الألمان من رجال الشرطة وغيرهم واخبرهم الشافعى بمطالب الفدائيين وهى التى نشرت بعد ذلك فقد كانوا يطلبون أن يخرجوا جميعا بما فيهم الرياضيون الإسرائيليون وأن يستقلوا طائرة هيلوكبتر إلى مطار ميونيخ وأن تقلهم طائرة ركاب سيوجهونها إلى وجهتهم بعد أن يركبوها جميعا وأنهم لن يفرجوا عن الرياضيين الإسرائيليين إلا بعد أن تقوم إسرائيل بالإفراج عن أعداد من المعتقلين الفلسطينيين فى سجون إسرائيل وبالطبع حدث ما حدث مما هو معروف حيث تم إطلاق النيران فى المطار وقتل من قتل حكى لنا عبد العزيز الشافعى كيف أنه توجه إلى مكان الأحداث وهناك فتح له الباب واحد من الفدائيين وحكى عبد العزيز كيف أنهم كانوا فى معنوية عالية وأنهم على استعداد للتضحية بأرواحهم وأن يقتلوا جميعا إذا لم تتم الاستجابة إلى مطالبهم، كان الإعلام فى ألمانيا نارًا مولعة تجاه الحادث ورأى المسئولون عن البعثة عودة البعثة جميعها وأن هناك طائرة سترسلها مصر إلى مطار ميونيخ فى الغد وأن على الجميع العودة عليها وجاء رئيس الوفد السورى يطلب منا أن نسهل عليه عملية العودة ووافق عبد المنعم وهبى على أن تسافر البعثة السورية معنا وفى صباح اليوم التالى للأحداث كنا جميعا قد جمعنا أنفسنا أمام البنايات التى نعيش فيها وجاءت أتوبيسات الدورة لتقلنا إلى مطار ميونيخ لاعبين وإداريين وإعلاميين وكان لاعب ألعاب القوى الدكتور ناجى أسعد بطل رمى الجلة سيشارك فى نفس اليوم فى بطولة الدورة وكان من المتوقع له أن يحرز على الأقل ميدالية برونزية ولكن جاءت الأحداث لتحول بينه وبين تحقيق حلم حياته وأقلعت بنا الطائرة من مطار ميونيخ قبل الظهر لتعود إلى القاهرة بعد أربع ساعات وأعتقد أن الوفود العربية عادت إلى بلادها ما عدا الوفد التونسى فقد شجب بورقيبة الرئيس التونسى الحادث وأمر بعثة تونس أن تكمل مشوارها فى الدورة وعندما وصلنا إلى القاهرة تنفسنا الصعداء بعد أكثر من ثلاثين ساعة عشناها فى قلق بالغ.

الألعاب الإفريقية ..

ولعلى فى مجال الحديث عن أحداث ميونيخ أحكى حادثة وقعت لى وأنا فى لاجوس فى يناير عام ١٩٧٣ فى دورة الألعاب الرياضية الإفريقية التى نظمتها نيجيريا ففى تلك الدورة سافرت بعثة رياضية ضخمة تمثل مصر فى مختلف الفعاليات والمباريات ورأس البعثة السيد عبد العزيز الشافعى أيضا كانت بعثة مصر الرياضية من أكبر البعثات الرياضية بل وحققت نتائج كبيرة جعلتها تأتى على رأس الدول المشاركة وتفوز ببطولة الدورة يكفى أن السباحة فاتن عفيفى فازت بسبع ميداليات ذهبية فى مختلف سباقات السباحة إضافة إلى ذلك اكتسحت مصر بطولة الدورة فى رفع الأثقال والمصارعة والملاكمة وبعض اللعبات الفردية وفى هذه الدورة أيضا كنا محل الحفاوة من أبناء الجاليات العربية من سوريا ولبنان الذين هاجر أجدادهم إلى غرب إفريقيا وكانوا دائما لا يتركوننا وفى خدمتنا لتلبية أى طلب وفى هذه الدورة حل عيد الأضحى المبارك واتفقت إدارة البعثة مع مشرفى المطابخ فى مقر البعثة على أن الجميع سيتناولون إفطارا مكونا من اللحمة الضأن والفتة ولما كان الطباخون النيجيريون

لا يعرفـون كيفيـة عمل الفتة فقد نبهناهم إلى أن بعضًا من المصريين من إداريى البعثة سـيقومون بالعمل وما علـى الطباخـين إلا تنفيذ ما يقوله هؤلاء الإداريون ونزل بعض الإداريين إلى المطبخ وباشـروا العمل وكانت البعثة قد اشـترت فى اليوم السـابق عددا لا بأس به من الخراف المهم أننا جميعا توجهنا فى الصباح الباكر إلى أحد المساجد الكبيرة فى لاجوس وأدينا صلاة العيد مع جموع المسلمين من أهل المدينة الذين كانوا يرتدون أجمل ملابسهم فى ألوانها الزاهية وعندما خرجنا من المسجد كانت تصادفنا جموع المسـلمين المتوجهين إلى الأرض الفضاء أو الملاعب لأداء صلاة العيد وأشـهد أن تدفقهم صوب الأماكن المفتوحة لأداء صلاة العيد اسـتمر إلى ما بعد العصر أقول إننا بعد الصلاة جلسـنا جميعا إلى أطباق الفتة واللحـم الضأن ونحن نهنئ بعضنا بالعيد ونهنئ الرياضيين الذيـن احتلوا مراكز الصدارة فى لعباتهم، كان الاسـتاد الرئيسـى الذى أقيم عليه حفل افتتاح البطولة ومباريات كـرة القدم يمتلىء بثمانين ألف متفرج فى كل مباراة من المباريات وكنت أتعجب أننى لم أشاهد أعدادا من رجال الشرطة يقومون على أمن المباريات كما هو الحال عندنا أثناء المباريات التى تقام فى اسـتاد القاهرة فقد كان عدد المشـرفين على النظام الأمنى لا يزيد على عشـرين شـرطيا من راكبى الخيول وفى يد كل واحد منهم حبل طويل فى نهايته كلب كبير الحجم وكان أى إخلال بالنظام يقابل من أحد رجال الشـرطة بمد الحبل للكلب فيقفز الكلب مما يجعل الجميع يلتزمون بالنظام.

شائعة الإنتقام !!

وأعود إلى الحادث الطريف الذى حدث لى فى مقر إقامة رجال الإعلام وهو الحادث الذى كتب عنه الراحل نجيب المستكاوى مقالا فى الأهرام كان عنوانه «إنهم يقتلون المذيع» الموضوع أننا كنا نعيش فى عدة شقق فى الدور الرابع من عمارة فى أطراف لاجوس وكان هناك توجس من الإسرائيليين ربما يأخذون بثأرهم من الرياضيين العرب المشاركين فى الدورة الإفريقية أو هكذا سرت الشائعة خاصة وأن العمارات التى كانت مقرا لرجال الإعلام كانت مخفورة بعدد لا بأس به من جنود القوات المسـلحة وفى إحدى الليـالى أشـتد الحر فخرجت من حجرتى إلى الصالة أجفـف عرقى وفجأة هبت بعض الرياح ومن جراء التيـار انغلق باب الحجرة وكان المفتـاح بالداخل واحترت ماذا أصنع وكيف أدخل إلى حجرتى لأكمل نومى ومن نافذة الصالة استغثت برجال الحراسة فجاءنى على الفور واحد منهم قافزا على السلالم وكان لا يعرف الإنجليزية فتفاهمت معه بالإشارة وكيف أننى لا أستطيع أن أدخل إلى حجرتى فأشار إلىّ بأنه فهم الأمر وأنه سيحل المشكلة ونزل إلى مدخل العمارة وإذا به يتسلق مواسير المياه فى خفة حركة صاعدا إلى الدور الرابع ليدخل من شـباك حجرتى ويفتح لى الباب، فى أثناء تسـلقه للمواسـير كان الزميلان نجيب المسـتكاوى ومحيى الدين فكرى – يرحمهما الله – لازالا يسـهران يلعبان الطاولة فى الشـقة المقابلة لشـقتى وشاهدا شخصا يتسلق المواسـير ويدخل إلى حجرتى من الشباك يقول نجيب المستكاوى إنه تسمر عندما شاهد المنظر وقال لمحيى فكرى الحق يا محيى ليكون «فيه حد هيقتل فهمى عمر» فقد

كانت شائعة ثأر الإسرائيليين لازالت تسيطر علينا جميعا وقبل أن يهما للمجيء إلى شقتى كان قد سمعا صوتى وأنا أحيى الجندى تحية صاخبة وأشكره شكرا عميقا وجاء الزميلان وهما ينتفضان من الخوف من أن يكون قد أصابنى مكروه ورويت لهما الحكاية وبالتالى هدأت خواطرها وصارت حدوته تحكى على مسامع كل المسئولين واللاعبين فى الدورة وعندما عدنا إلى مصر كتبها الراحل نجيب المستكاوى بأسلوبه المعروف فى صفحة الرياضة بالأهرام.

الإعلام المحلى ..

ظللت مديرا لإذاعة الشعب ومديرا للبرامج الرياضية حتى سنة ١٩٧٩ عندما رأت الإذاعة أن تدخل نظام الإعلام المحلى فصدر القرار بإنشاء شبكة الإذاعات المحلية والحق به قرار آخر بتعييني رئيسا للشبكة وكان معنى ذلك تصفية إذاعة الشعب وإحلال الإذاعات المحلية بدلا منها واستتبع ذلك أن تكون إذاعة الإسكندرية تحت إشرافى، بالإضافة إلى إذاعة الشعب والإدارة العامة للبرامج الرياضية، ومع بداية عملى كرئيس للشبكة الجديدة صادفتنى مشكلة وهى أن مدير إذاعة الإسكندرية جاءه عقد عمل فى إحدى إذاعات الخليج وعلمت السيدة صفية المهندس رئيس الإذاعة أن هناك سبعة مراقبى عموم فى إذاعة الإسكندرية يتصارعون من منهم يصبح رئيسا للإذاعة وجاءت لى السيدة رئيس الإذاعة وقالت لى «ورينى همتك وشوف بأه أزاى تحل المشكلة» «وقالت مستطردة» اذهب إلى الإسكندرية وتحقق من الأمر ولك مطلق الحرية بعد ذلك فى اختيار من تشاء رئيسا للإذاعة، وسافرت إلى الإسكندرية بعد أن أخطرت الإذاعة هناك بأن يتجمع الزملاء جميعا فى أحد الاستديوهات فى ساعة معينة وفى التوقيت المحدد كنت أجلس إلى حوالى خمسين من المذيعين والمخرجين ومقدمى البرامج والعاملين فى الهندسة ورحب بى الجميع وألقيت فيهم كلمة طلبت فيها منهم أن يقدموا عظيم جهدهم وعطائهم من أجل توهج الإذاعة الإسكندرانية التى تعتبر رائدة الإعلام الإذاعى المحلى، كنت طوال رحلة القطار من القاهرة إلى الإسكندرية أفكر فى طريقة تنتهى بى إلى اختيار رئيس لإذاعة الإسكندرية برضا كل الفرقاء وهدانى المولى عز وجل إلى هذه الطريقة التى نفذتها بمجرد أن طلبت من الزملاء السبعة المراقبين العامين أن ألتقى بهم على انفراد عقب انتهاء الاجتماع الذى ضم كل العاملين وعندما جلست إليهم فى أحد الاستديوهات طلبت منهم أن نتعاهد على أن من يقع عليه الإختيار كرئيس للإذاعة سيتعامل معه الباقون بكل الاخلاص وبكل ما هو مطلوب من المرءوس تجاه رئيسه وكان أن قرأنا الفاتحة جميعا على ما اتفقنا عليه وخرجت من الاستديو طلبت منهم البقاء فى أماكنهم واتخذت من أحد المكاتب مكانا جلست فيه بمفردى وطلبت من أحد العاملين فى إدارة السكرتارية بأننى أرجو من فلان «أحد السبعة الفرقاء الجالسين فى الاستديو» أن يحضر لمقابلتى وعندما جلس أمامى قلت له: إننى اعتقد أنك صالح للمنصب لكن لو قدر لك ألا تكون رئيسا للإذاعة فمن تختار من زملائك الباقين رئيسا، فابتسم قليلا فى شبه دهشة وقال أرشح فلاناً فقلت له أرجو أن تنتظرنى فى المكتب المجاور وطلبت من السكرتارية أن

تحضر لى فلانا من الاستديو وتكرر الأمر سبع مرات وتكرر السؤال وتكررت الإجابة، وكنت أدون فى ورقة أمامى عدد الأصوات التى أحرزها هذا أو ذاك وعقب انتهاء عملية التصويت كانت هناك خمسة أصوات فى صالح الزميل صابر مصطفى مراقب عام المنوعات وهنا توجهت إلى الحجرة الأخرى وبها مجموعة الزملاء وأعلنت لهم أن زميلهم صابر مصطفى أصبح رئيساً لهم بعد عملية ديمقراطية أحرز من خلالها أغلبية الأصوات فصفقوا جميعا وباركوا له كما أنهم اثنوا على فكرتى التى نفذتها والتى شاركوا فيها برأيهم ومن تليفون إذاعة الإسكندرية اتصلت بالسيدة صفية المهندس وأخطرتها بما تم وكيف اخترت رئيس إذاعة الثغر، سعدت السيدة رئيس الإذاعة وشكرتنى شكرا جزيلا وقالت لى فكرة هائلة يا فهمى ولك مكافأة مقدارها مرتب نصف شهر.

وأعود إلى ما بدأت به وهو ما يتعلق بإدخال نظام الإعلام الإقليمى بحيث تكون هناك إذاعات فى أقاليم مصر وكل إذاعة تضم عدة محافظات تتماثل فى العادات والتقاليد والمحاصيل الزراعية وغير ذلك من ألوان التماثل وتكون هذه الإذاعات بنت بيئتها ومرآة تعكس مشاكل هذه البيئة وتحاول أن تحل هذه المشاكل وتكون منبرا لأبناء الإقليم يعلنون من خلاله عن آمالهم وطموحاتهم ويعرضون على المسئولين المحليين همومهم وآلامهم وتكون من مهماتها اكتشاف الخامات الواعدة فى مجالات الفنون من غناء وتلحين وتقدم الواعدين من الشعراء والزجالين وكتاب القصة وعشاق التمثيل وتعريف المواطن بأمور دينه ودنياه وكيف يتلاحم مع البيئة وكيف يخرج أحسن ما عنده خدمة لنفسه ولمجتمعه بحيث يجوس الميكروفون خلال الأقاليم ليقدم الجديد ويلتقى مع المواطنين فى حوارات إذاعية هدفها خدمة المجتمع.

التجربة البريطانية ..

وبدأت إجراءات الاستعداد لإدخال نظام الإذاعات الإقليمية باجتماع عقدته السيدة صفية المهندس رئيس الإذاعة ضم مجموعة من رؤساء القنوات الإذاعية وتناقشنا فى الأمر واستقر الرأى على سفر وفد إذاعى إلى لندن لزيارة الإذاعات الإقليمية والمحلية المنتشرة فى أنحاء بريطانيا للتعرف إلى هذا النظام والمهام التى يقوم بها والفلسفة التى يسير عليها العمل هناك وتشكل الوفد برئاسة السيدة صفية المهندس وعضويتى والزميل أمين بسيونى مدير صوت العرب، وأرسل مكتب رئيس الإذاعة يخطر الإذاعة البريطانية بأنه تقرر زيارة وفد إذاعى مصرى إلى البى بى سى لأخذه فكرة كاملة عن عمل الإذاعات الإقليمية والمحلية، وسافرنا فى نوفمبر من عام ١٩٨٠ ومكثنا فى انجلترا قرابة عشرة أيام، استقبلنا خلالها المسئولون عن الإذاعة البريطانية وخصصوا لنا مرافقا فى جولاتنا فى عدد من الإذاعات المحلية وبدأنا الزيارة بجولة فى إذاعة لندن المحلية وهى الخاصة بمدينة لندن وضواحيها حيث تبث أنباء العاصمة البريطانية وما يجرى فيها. وجلست إلى مدير الإذاعة وكانت المفاجأة أنها تبث على مدار الساعة كنا بعد فى إذاعات القاهرة لا نطيق نظام البث المستمر بل كانت هناك ساعات محدودة لإرسال

كل إذاعة من الإذاعات الموجودة على ساحة الإعلام المسموع. البرنامج العام ينتهى إرساله فى الساعة الواحدة والنصف من منتصف الليل وصوت العرب ينهى إرساله فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل إضافة إلى البرامج الأوروبية والبرنامج الثقافى وساعات إرسالها محدودة أيضا.

وسألت مدير إذاعة لندن وأنا أظهر دهشتى لمن تبثون إرسالكم بعد منتصف الليل والناس نيام، وأجابنى الرجل إجابة جعلتنى أحس بمدى اهتمام الإعلام هناك بالمستمع، إذ قال يكفى سعادة لنا أن يكون هناك شخص مصاب بالأرق فيفتح الراديو ليجدنا معه نؤنسه ونرفه عنه، ثم قال هناك فئات عديدة تعمل ليلاً ولابد أن نكون معها مثل العاملون فى المخابز ورجال المطافئ ورجال الإسعاف ورجال الشرطة فى مراكز ونقط الشرطة ورجال النقل العام الذين يقومون طوال الليل بصيانة وسائل النقل وغسلها وإعدادها ليوم جديد.. ما شاء الله.. شىء جميل فعلا وسألته عن خريطة برامجه فقال: إن خريطة البرامج متحركة حسب الأحداث ولذلك – هكذا قال – فإننا نطلق علىٰ إذاعتنا المحلية اسم إذاعة الحركة فهى Acthion Broad Carting ثم قال: إن أغلب المواد المذاعة هى الأغانى والموسيقى ولكننا نتابع حركة الحياة فى العاصمة، مثلا – هكذا قال – لو أن مترو الإنفاق حدث به عطل فإننا نسارع بإذاعة الخبر ومكان حدوثه ثم نوجه المواطنين إلى الخطوط الأخرى التى تعمل وإذا كان هناك تكدس مرورى فإننا نتابع الحالة ونذيع عن الطرق والشوارع البديلة التى يمكن استعمالها بعيدا عن الاختناق الذى وقع فى المكان المعين كذلك فإننا نذيع الحفلات التى تقام فى المدارس والأنشطة الرياضية فى المؤسسات والندوات التى تجرى فى أماكن عديدة، وقال: إنه إذا تم افتتاح مدرسة جديدة أو مستشفى جديد فإننا نذيع الخبر ونقدم ريبورتاجا عنه وننبه المواطنين فى الحى الذى به المدرسة أو المستشفى إلى كيفية الوصول إليه وهكذا نتابع سير الحياة العامة فى المدينة الضخمة.

وزرنا استديوهات إذاعة لندن المحلية وهى عبارة عن استديوهين فقط واحد للمذيع والآخر للموسيقى حيث تستضيف الإذاعة الفرق الموسيقية للتلاميذ من المدارس المختلفة لتقديم مواهبهم الفنية والأيدى العاملة فى الإذاعة قليلة حيث الميكنة تقوم بالعمل، مثلا إذا طلب المذيع شريطا من المكتبة ما عليه إلا أن يكتب اسم المادة التى على الشريط وهناك سير متحرك ما بين الاستديو وغرفة الأشرطة فيضع الورقة التى كتب عليها اسم المادة المطلوبة فتصل إلى موظف المكتبة الذى يستخرج الشريط ويضعه فى خانة على السير المتحرك فيصل إلى الاستديو وهكذا. وناقشونا فى إمكانية إدخال هذا النظام فى إذاعة القاهرة فقالت له السيدة صفية المهندس إن معنى ذلك أن نستغنى عن خدمات عدد لا بأس به من الموظفين الذين يقومون بحمل الأشرطة من المكتبة وتوزيعها على الاستديوهات حسبما هو موجود فى البرنامج اليومى وقالت أيضا إن من أسس النظام عندنا فى مصر أن نعين الخريجين من الجامعات والمعاهد ومثل هذا النظام الخاص بميكنة العملية لا يتسق مع نظام التوظيف فى مصر وكان ذلك طبعا قبل أن يتوقف نظام القوى العاملة سنة ١٩٨٤.

فى أكسفورد ..

وهيأت لنا الإذاعة البريطانية فرصة زيارة إذاعة «أكسفورد» وهى إذاعة خاصة بالمدينة الصغيرة التى تقع فيها الجامعة العريقة وهى على بعد حوالى عشـرين ميلا من لندن، وذهبنا إلى تلك المدينة الصغيرة ذات الشوارع المتسعة والحدائق الكثيرة، وتوجهنا إلى إذاعتها المحلية. وهى على نفس النسق من إذاعة لندن المحلية إذ إنها تقع فى أحد أدوار عمارة آهلة بالسـكان وتشـغل مساحة الدور بما يوازى مساحة شـقتين ولا تزيد المسـاحة الكلية على مائتى مـتر مربع وعندما دخلنا غرفة المراقبـة ورآنا المذيع قطع الموسيقى المذاعة وأعلن خبر وصول الوفد الإذاعى المصرى إلى الإذاعة وألقى كلمة ترحيب معبرا بها عن ترحيب المدينة بنا، الأمر الذى كان مبعث إعجابنا بتصرف المذيع وكيف أن الإذاعة المحلية تعبر عن الأحداث التى تجرى فى محيطها وبعد أن تجولنا فى الإذاعة توقفنا مرة أخرى لنسـمع حوارا تليفونيا بين المذيع وبين أحد أطفال المدارس لا يزيد عمره على اثنتى عشـرة سـنة، والحكاية أسـردها فى هذه السطور فأقول: إن هذا التلميذ الصغير وهو عائد إلى منزله من مدرسته راكبا دراجته شاهد علامة المرور الحمراء فتوقف حتى يضئ النور الأخضر ولكن الإشـارة ظلت متوقفة ففطن التلميذ الصغير إلى أن هناك خللا فى إشارة المرور، وبالطبع سار على حذر بدراجته حتى وصل إلى منزله وكان أول شىء قام به هو الاتصال بالإذاعة المحلية ليخطرها أن إشـارة المرور فى تقاطع الشـارع الفلانى مع الشارع الفلانى فيها خلل وأن الإشـارة الحمراء لا تتغير وأعطى التلميذ اسمه وتليفونه للمذيع الذى قام على الفور بالاتصال بالسلطات المحلية وأعلن خلال الميكروفون عن الخلل منبها أصحاب السيارات إلى توخى الحرص عند تقاطع هذين الشـارعين، وظل المذيع يتابع عملية الإصلاح وأخذ يردد كل فترة وجيزة تحرك المسئولين وقيامهم بالتوجه إلى مقر العطل حتى انتهى الإصلاح فأعلن تمام الأمر وأن الإشـارة الضوئية عادت إلى العمل بصورة طبيعية. لم ينته الأمر عند هذا الحد بل إن المذيع أذاع فى الميكرَوفون شكره للتلميذ الصغير على تعاونه ثم طلب منه أن يتوجه إلى دار الإذاعة محددا له الوقت الذى يحضر فيه، وقال لنا مسئول الإذاعة: إن التلميذ عندما سـيحضر إلى الاسـتديو سنجرى معه حوارا حول ما قام به من عمل ونقدم له الشكر ثم تمنحه الإذاعة درعها تقديرا له على عمله.

دور الإعلام المحلى ..

وهكـذا – فـى يقينى – يأتى الدور المهم للإعلام المحلى فى حـث المواطنين على أن يتعاونوا بغية خدمة مجتمعهم وأنهم جميعا مسئولون عن رفاهية هذا المجتمع بحيث يؤدى كل منهم دوره الإيجابى فى خدمة مجتمعه وتكون كلمات التشـجيع والشـكر من الميكروفون حافزا للجميع باعتبار أن أى جهد إيجابى يقدمه المواطن هو بمثابة عمل يستحق الثناء والشكر وبالتالى يكون الفرد لصيقا بمجتمعه والجميع يعزفـون لحنا لا نشـاز فيه بعيدا عن «الأناماليه»، وتحدثنا مع المسـئولين فـى تلك الإذاعة وكيف أن

الإذاعة محدودة المساحة فهى تقريبا خاصة بالمدينة الصغيرة وقالوا لنا كلاما جميلا – مثلا – يمكن للمواطن أن يتصل بالإذاعة ليناقش موضوعا معينا أو يطلب مساعدته فى أمر معين، قالوا لنا: إن هناك من يتصل بهم ليقول لهم: إن البسكلته التى كان يستعملها اشترى بدلا منها واحدة جديدة وأنه سيتبرع ببسكلته لمن يريدها، وهناك من يتصل ليقول: إنه رجل كبير السن وأنه فقد زوجته بموتها ولذلك فإنه ليس فى حاجة إلى حجرة الطعام وأنه مستعد لأن يبيعها بثمن بخس لمن يريد الشراء، وقد يعنّ للمذيع أن يتصل بأحد الأطباء ليناقش معه موضوعا معينا أو يطلب منه معلومات عن كيفية الوقاية من مرض معين وتدور المناقشة ولا يجد المذيع حرجا من أن ينهى المناقشة بنفسه كأن يقول له هكذا أخذت منك استشارة مجانية كذلك هناك من يتصل بالمذيع ليقول له: إنه لا مانع لديه من أن يقوم بتقديم حديث عن كيفية تنسيق الزهور لأنه خبير فى هذا الأمر وكيفية إعداد طبق لنوع معين من الطعام وإنه يقوم بذلك دون أجر وهكذا تقوم الإذاعة بتقريب الناس بعضهم إلى بعض وتوجد ما يشبه الألفة فى محيط سكان المدينة باعتبار أن الإذاعات المحلية هى المرآة العاكسة لأحوال الناس والتى تعتبر منبرا يتحدث منه المواطنون فى مختلف شئونهم.

وبعد أن انتهت زيارتنا للندن توجهت أنا والسيدة صفية المهندس إلى باريس وكان الدكتور ممدوح البلتاجى فى تلك الأيام يعمل مستشارا إعلاميا لمصر فى باريس وقد استقبلنا الرجل استقبالا كريما وطلبنا منه أن يحدد لنا موعدا نقوم فيه بزيارة الإذاعة الفرنسية للتعرف إلى نظام الإعلام المحلى وبالفعل تم ذلك وتحدد لنا موعد مع مسئول فى الإذاعة الفرنسية وكان من أصل جزائرى ويتحدث العربية وأذكر أن اسمه هو فؤاد بن حلّه والسبب فى تذكرى لاسمه هو كلمة حلّه هذه وشرح لنا الرجل العمل فى الإذاعات المحلية الفرنسية وهو لا يخرج كثيرا عن مفهوم العمل فى إذاعات بريطانيا، نسيت أن أقول إن الإعلام المحلى فى إنجلترا أغلبه إعلام خاص يقوم على الإعلان مدفوع الأجر من الشركات المعلنة. ومن المألوف أن تكون هناك فى المدينة الواحدة إذاعتان إحداهما تتبع الـ بى بى سى والأخرى تتبع القطاع الخاص وأزعم أنه على الرغم من تعدد وسائل الاتصال فى بلد كانجلترا إلا إن المحطات الإذاعية المحلية تنتشر فى مدن انجلترا وغالبا لا تخلو مدينة من لندن جنوبا وحتى شمال اسكتلنده من إذاعة أو إذاعتين محليتين، أكثر من هذا فإن الإذاعات المحلية فى بلد مثل أمريكا تنتشر فى الأحياء حتى إنه يوجد فى أمريكا أكثر من ثمانية آلاف إذاعة محلية يديرها الأفراد والقطاع الخاص.

رسالة خاصة ..

وبعد انتهاء زيارتنا لفرنسا عدنا إلى القاهرة وأخذنا نعد العدة لإنشاء أول إذاعة محلية بعد إذاعة الإسكندرية وهى إذاعة القاهرة الكبرى التى تخدم محافظات القاهرة والجيزة والقليوبية، وشمرت عن ساعدى وعقدت مع مجموعات العمل اجتماعات مكثفة لنخرج الإذاعة الوليدة مؤدية رسالتها على أكمل وجه، كنت قد تحدثت مرارا عن الإعلام المحلى كما شاهدته فى إنجلترا وبالطبع كانت لدى العاملين

فـى إذاعة الشـعب فكرة كاملة عن هذا الإعلام حيث كانت إذاعة الشـعب هـى الإذاعة التى يتحرك ميكروفونها فى مختلف محافظات مصر ليقدم الصور الإذاعية المتعلقة بالنشاط العام فى هذه المحافظات وتبنى آمال الجماهير وطموحاتهم ويتعرف إلى شـكاواهم وهمومهم ويناقش المسـئولين فى الحكم المحلى حـول قضايا المواطن فى قريته أو مدينته ويعرض مـا ينقص المواطن من خدمات وهكذا، واجتمعت مع السادة محافظى القاهرة والجيزة والقليوبية الذين غابت أسماؤهم عن ذاكرتى اللهم إلا اللواء سعد مأمون محافـظ القاهـرة الذى تعاون معنا تعاونا جميلا حيث خصص موظفـا فى العلاقات العامة ليقوم بتزويد الإذاعة بكل أخبار المحافظة ويكون عونا للمذيعين ومقدمى البرامج فى الالتقاء بالمسئولين فى المديريات المختلفة بالمحافظة لمناقشتهم فى حل مشاكل الجماهير.

وقبل أن تنطلق إذاعة القاهرة الكبرى بأسـبوعين عقدنا جلسـة فى اسـتديو من استديوهات الإذاعة بماسبيرو حضرها السيد صفوت الشريف وكان فى تلك الأيام رئيسا لاتحاد الإذاعة والتليفزيون وحضرها أيضا السـيد سـعد مأمون محافظ القاهرة ومحافظا الجيزة والقليوبية لنضـع النقاط فوق الحروف وقلت بالعبارة الصريحة إن الإذاعة الوليدة ليسـت إلا مرآة عاكسـة للنشاط والحياة فى الإقليم وأنها لن تكون بوقـا إلا للمواطن العادى وأنها سـتكون المنبر الذى يعتليه هـذا المواطن ليقول كلمته وأن الإذاعة الوليدة سـتراقب ما سـيقوم به المسئولون من أعمال فى الإقليم وسـنتحدث عن الإيجابيات والسلبيات. واتفقنا على أن تقوم المحافظات الثلاث بتقديم يد العون للإذاعة من ناحية مدها بالأخبار والمشروعات الجديدة لتقدمها خلال سـاعات إرسـالها ولما كانت لا توجد موجات إذاعية خاصة بهذا الإذاعة فقد اسـتعملنا موجة إذاعة الشـعب وتقرر أن تبث الإذاعة الوليدة برامجها على مدى أربع سـاعات يوميا سـاعتين من السادسـة وحتى الثامنة صباحا وسـاعتين من العاشرة حتى منتصف الليل مساء وظلت هذه الإذاعة – القاهرة الكبرى – تنمو وتشب عن الطوق ويصبح لها خبطاتها الإذاعية وكبرت سنة بعد سنة وعندما خرجت إلى المعاش كانت تبث فى اليوم ١٢ ساعة، بدأت إذاعة القاهرة الكبرى إرسالها فى الفاتح من ابريل سنة ١٩٨١ وفى أبريل ٢٠٠٦ الماضى أسعدتنى رئيسة هذه الإذاعة الإعلامية هدى مهنى – وهى من بناتى فى إذاعة الشـعب – بدعوتى لحضور الاحتفال بالعيد الفضى لإذاعة القاهرة الكبرى بجامعة القاهرة وحضره السـادة محافظـو القاهرة والجيزة والقليوبية كما حضره رؤسـاء الهيئات الحكومية فى الإقليم وزاد العيد جمالا أن حضره كل رؤساء الجامعات فى الإقليم – جامعة القاهرة وجامعة عين شمس وجامعة حلوان والجامعة الأزهرية وجامعة بنها – وقدمت الإذاعة العديد من الفنانين الذين كانت لها الفضل فى اكتشافهم وتقديمهم لجمهور الإقليم كذلك تسابقت فرق الفنون الشعبية فى الإقليم فى تقديم فقراتها الفنية وجاء الشـعراء والزجالون ممن قدمتهم الإذاعة فى برامجها وقالوا شـعرا وزجلا تمجيدا للدور الإعلامى الذى تقوم به الإذاعة، وها هو ميكروفون إذاعة القاهرة الكبرى يجول خلال الإقليم يقدم الأخبار المحلية ويلتقى بالمواطنين وهناك البرامج العديدة التى تتناول مشـاكل المواطن ويقوم الميكروفون

بالحوار مع المسئولين لحل هذه المشاكل وأذكر فى هذه المناسبة أن ميكروفون هذه الإذاعة كان له دور فعال إبان أزمة أنفلونزا الطيور وقد كان مرافقا للمسئولين فى مديرية الطب البيطرى فى المحافظات الثلاث أصحاب المزارع يتعرفون بكيفية الوقاية من المرض وأقامت الإذاعة غرفة عمليات لهذا الغرض وقدمت البرامج التى تعطى للمواطن معلومات عن المرض والوقاية منه وبرامج عديدة قدمتها إذاعة القاهرة الكبرى يتلقاها المواطن فى الإقليم ويتفاعل معها يتأثر بها ويؤثر فيها وكتيبة العاملين فى هذه الإذاعة دائما وراء الأحداث فى إقليم القاهرة الكبرى.

وسط الدلتا ..

وكانت الخطوة التالية فى مجال الإذاعات الإقليمية هى إنشاء إذاعة وسط الدلتا لتخدم محافظات المنوفية والغربية وكفر الشيخ والدقهلية ودمياط ويكون مقرها فى مدينة طنطا، وبالطبع لما كانت هذه الإذاعات موجهة إلى البيئة التى تبث برامجها فى محطتها فقد كان لزاما أن يكون العاملون فيها من أبناء هذه البيئة، فهم الذين يعرفون مشاكل إقليمهم بحكم النشأة ولذلك فقد كان لابد من إجراء اختيارات بين المتقدمين لشغل وظائف هذه الإذاعات بحيث يكون لكل محافظة من الإقليم عدد من أبنائها يعملون فى الإذاعة من معدين ومقدمى برامج وعقدنا فى ماسبيرو امتحانات للمتقدمين وصدر قرار تعيين للناجحين منهم وأقمنا لهم دورات تدريبية لتعريفهم مهام الإذاعات الإقليمية أما مدير الإذاعة فهو واحد من الكوادر التى تمرست على العمل الإذاعى سنين عديدة فى إذاعة الشعب، وتحدد لبدء إرسال إذاعة وسط الدلتا فى الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٨٢ وجاء موعد الافتتاح وسافرت مع السيدة صفية المهندس رئيس الإذاعة وبعض من رؤساء الإذاعات إلى طنطا حيث أقامت فى الهندسة الإذاعية سرادقاً كبيراً للاحتفال حضره السادة محافظو الأقاليم وأشهد أن الهندسة الإذاعية بقيادة المهندس القدير فاروق إبراهيم كانت هى الساعد الأيمن فى إنجاز هذه الإذاعات الإقليمية عندما اقتطعت جزءا من مساحة الأرض التى تقيم فيها مراكز إرسالها وأقامت عليها المكاتب والاستديوهات اللازمة لهذه الإذاعات دون أن تكلف اتحاد الإذاعة والتليفزيون مبالغ طائلة فى إنشاء صروح هذه الإذاعات، وبعد مراسم الاحتفال التى تضمنت كلمات منى ومن السيدة صفية المهندس وكلمات من السادة المحافظين تقرر أن يكون البث الرسمى فى صباح الغد وكان يوافق عيد الأضحى المبارك وتقرر أن تبدأ إذاعة وسط الدلتا إرسالها بإذاعة صلاة العيد من المسجد الأحمدى بطنطا وندبت نفسى مع مذيع ناشئ لإذاعة الصلاة وافتتاح الإذاعة وعادت صفية المهندس وبقية الزملاء إلى القاهرة وأمضيت انا الليل فى مدينة طنطا وفى الصباح الباكر توجهت من الفندق الذى أمضيت فيه ليلتى إلى المسجد الأحمدى وكانت الهندسة الإذاعية قد رتبت ميكروفونات خارج المسجد لإعلام الناس أن البث الذى يسمعون إليه صادر من إذاعتهم الإقليمية إذاعة وسط الدلتا وأشهد أنه عقب انتهاء الصلاة والانتقال إلى استديوهات الإذاعة جاء مواطنون كثيرون يهنئون بالإذاعة الوليدة أملين فيها الخير بحيث تكون لساناً معبراً عن آمال وطموحات المواطنين فى الإقليم وبدأت الإذاعة إرسالها لمدة ست ساعات ثلاث صباحية ومثلها

مسائية والآن تبث هذه الإذاعة أكثر من عشرة ساعة يومياً ناقلة أحداث الإقليم ونشاطات المواطنين والمؤسسات الحكومية ومعبرة عن آمال الناس فى هذه المناطق عن دلتا النيل باعثة فلسفة الإعلام التنموى الذى يهدف إلى تنمية شاملة للوطن والمواطن.

شمال الصعيد ..

وكانت الإذاعة الثالثة فى سلسلة الإذاعات الإقليمية هى إذاعة شمال الصعيد ومقرها مدينة المنيا وتخدم محافظات بنى سويف والفيوم والمنيا وأسيوط. كنت عندما افتتحت هذه الإذاعة سنة ١٩٨٣ رئيساً للإذاعة فقد صدر قرار تعيينى فى هذا الموقع فى نوفمبر سنة ١٩٨٢ وكان احتفال افتتاح إذاعة شمال الصعيد افتتاحاً رائعاً وجميلاً، فقد سافر إلى المنيا وزير الإعلام ورئيس الإذاعة، ولما كانت الرحلة يرأسها الوزير فقد دعونا الزملاء رؤساء القطاعات الأخرى لحضور المناسبة، وسافرنا فى قطار الساعة السابعة والنصف صباح يوم الافتتاح وهيأت محافظة المنيا استقبالاً لنا فى محطة المنيا التى وصلناها قرب الساعة الحادية عشرة وبعد أن زرنا محافظ الأقليم فى مكتبه «ضاع من الذاكرة اسمه» توجهنا جميعاً إلى مقر الإذاعة الوليدة وكان أيضاً جزءا مقتطعاً من مركز إرسال المنيا أنشأت عليه الهندسة الإذاعية الاستديوهات والمكاتب.

كان زملائى فى شبكة الإذاعات المحلية قد عقدوا اختبارات امتحان المذيعين الجدد وكانوا جميعاً فى استقبالنا فى مبنى الإذاعة وقام السيد الوزير والسيد المحافظ ومعهم رئيس الإذاعة بقص الشريط وعقب ذلك بدأ البث بكلمة من وزير الإعلام وبكلمات من السادة محافظى محافظات الإقليم سجلت لهم من قبل ثم كلمة رئيس الإذاعة، وينتشر إرسال إذاعة شمال الصعيد فى كل المناحى التى يشملها الإقليم وكذلك ينتشر العاملون فى هذه الإذاعة فى هذه المناحى يسجلون برامجهم ويلتقون فيها بالمسئولين والمواطنين ويكافحون من أجل اكتشاف المواهب فى مجالات الفنون المختلفة، باذلين الجهد من أجل تحقيق رسالة وفلسفة الإذاعات المحلية وفى كل عاصمة محافظة من محافظات الإقليم يوجد أبناء لإذاعة شمال الصعيد يوافون إذاعتهم بأخبار المحافظات والمواطنين، وأجزم أن هذه الإذاعات لكى تؤتى ثمارها لابد من توفير الإمكانات التى تتيح لها نشر رسالاتها مثلاً لابد من وجود استديوهات تسجيل فى عواصم المحافظات لتسجيل ألوان الفنون الشعبية وغناء المطربين المحليين لأنه يصعب نقل الناس من شمال وجنوب الإقليم إلى وسط الإقليم فى المنيا حيث لا توجد إمكانيات مادية لعمليات السفر والإقامة إضافة إلى أن الميزانيات الخاصة لهذه الإذاعات ضئيلة للغاية ولا تتيح لها نشر رسالتها كما يجب أن تنشر.

وفى عيد سيناء سنة ١٩٨٥ تم افتتاح إذاعة شمال سيناء، وقبل أن أتحدث عن يوم افتتاح هذه الإذاعة الذى كان يوماً مشهوداً فى تاريخها حيث قام بقص الشريط الرئيس مبارك، قبل أن أتحدث عن ذلك اليوم أقول: إننى كنت معارضاً لوزير الإعلام فى إنشاء إذاعتين إقليميتين فى سيناء، واحدة

فى الشمال ومقرها العريش والثانية فى الجنوب ومقرها الطور ومعارضتى ترجع إلى أسباب كثيرة لعل من أهمها أن عدد سكان سيناء لا يزيد على مائتى ألف نسمة شمالاً وجنوباً، وبغض النظر عن عدد السكان فإن تضاريس المنطقة تحتم أن يكون هناك عدد لا بأس به من محطات التقوية حتى يمكن الاستماع إلى برامج هاتين الإذاعتين، إذاعة شمال سيناء لا تسمع بوضوح إلا فى الساحل الشمالى ولا تسمع بالمرة مثلاً فى وسط سيناء أما جنوب سيناء فالعقبات أشد أمام استماع السكان لهذه الإذاعة إلا فى مدينة الطور وبعض الأنحاء الأخرى ولكنها لا تصل بوضوح إلى التجمعات البدوية فى قلب الصحراء. بالإضافة إلى ذلك فإنه من الصعوبة بمكان – لضآلة الإمكانات – أن تتوفر وسائل نقل بالسيارات لمقدمى البرامج لكى يذهبوا فى عمق الصحراء إلى المواطنين وعمل برامج إذاعية معهم، ولكن كان لابد مما ليس منه بد وتحدد يوم عيد سيناء سنة ١٩٨٥ لافتتاح الإذاعة وقام السيد الرئيس بزيارة للمحافظة ومدينة العريش وزار بعض المناطق هناك ثم جاء إلى مقر الإذاعة وقص شريط الافتتاح وألقى كلمة لمواطنى سيناء وكان يوماً جميلاً احتشد فيه أبناء العريش والمناطق المجاورة للترحيب بالسيد الرئيس ونقلت إذاعة شمال سيناء على الهواء مباشرة إلى جانب الإذاعة الرئيسية مظاهر الاحتفال والترحيب بالقائد الرئيس أما إذاعة جنوب سيناء فقد تم افتتاحها بعد ذلك بعامين وفى سنة ١٩٨٨ انتهى عملى الإذاعى لبلوغ السن القانونية وجاء المسئولون من بعدى ليكملوا منظومة الإذاعات الإقليمية فتم إنشاء إذاعة القنال ثم إذاعة جنوب الصعيد وإذاعة مطروح وإذاعة الوادى الجديد كذلك رأى المسئولون أن ينشئوا قنوات تليفزيونية إقليمية وفى نفس مبانى الإذاعات الإقليمية أنشئت استديوهات القنوات التليفزيونية منها القناة الثالثة وتخدم إقليم القاهرة الكبرى ثم قنوات الإسكندرية ووسط الدلتا والقناة وشمال الصعيد وجنوب الصعيد.

□□□

obeikandl.com

الفصل الخامس عشر

الإعلام المحلى

لى عن الإعلام المسموع والمرئى المحلى كلمة لابد وأن أقولها : الإذاعات الإقليمية مسموعة ومرئية نظام إعلامى معروف فى عديد من الدول فى العالم بل إن هناك إذاعات محلية توجد فى المدن الصغيرة وفى أمريكا هناك إذاعات فى الأحياء وكم كان لى أمل كبير أن تكون هناك إذاعة محلية فى عاصمة كل محافظة بل ولماذا لا تكون هناك إذاعة محلية فى كل عاصمة مركز من المراكز تقرب المواطنين إلى بعضهم وتكون أداة تعريف بحيث يعرف المواطن كل ما يحدث فى قريته أو القرى المجاورة وفى مدينته وفى محافظته ولكن ما يعيب هذا النظام عندنا أنك لا تستطيع أن تصفه بالمحلية أو الإقليمية فمازالت التليفزيونات الإقليمية تذيع نفس الأغنيات التى تذاع على القنوات الرئيسية ونفس الأمر بالنسبة للإذاعة ويعجب الإنسان عندما يشاهد قناة جنوب الصعيد عندما يعلن المذيع عن أذان أوقات الصلاة فإذا بالمؤذن هو الشيخ رفعت أو عبد الباسط عبد الصمد وتذاع أثناء الإذاعة لوحات مصورة من مساجد القاهرة.

ناقشت كثيراً هذا الأمر حتى حكاية الأذان ولماذا لا يبث بأصوات المؤذنين المحليين ومنهم كثيرون أصحاب أصوات جميلة فإذا هو الروتين الذى يقول: بأن المؤذن لابد وأن يجتاز امتحانا أمام لجنة القراء فى القاهرة.

كيف يحضر المؤذن إلى القاهرة ومن يدفع له التكاليف، ونفس الأمر بالنسبة للفنانين المحليين فلو أن كل إذاعة إقليمية أرادت أن تقدم مطرباً من أبناء الإقليم لا تستطيع لأن هذا المطرب لابد وأن يجاز من لجنة الموسيقى والغناء بالقاهرة حتى معلقو كرة القدم لابد وأن يجتازوا امتحاناً لقدراتهم فى القاهرة، ثم إن الإمكانات المادية لا تعطى الفرصة للمسئولين عن الإعلام المحلى مرئياً ومسموعاً لتقديم دراما محلية فالاستديوهات عاجزة عن تصوير الدراما وحتى إذا توفرت لها الإمكانات فمن يعطى مقابلاً مادياً للممثلين مثلاً ولهذا فإن هذه الإذاعات عاجزة تماماً عن أن تؤدى مهمتها الأصلية وهى اكتشاف الموهوبين فى مختلف المجالات فمثلاً قارئو الذكر الحكيم فبرغم وجود الكثير من المبرزين منهم محلياً لا يقدمهم الميكروفون المحلى لأنه لم تتم إجازتهم بالقاهرة ثم إنه لا توجد ميزانية لدفع المقابل المادى للقارئ إضافة إلى ذلك هناك بعض التدخل من بعض محافظى الأقاليم الذين يعتقدون خطأ أن الإذاعة المحلية لابد وأن تسبح بحمدهم وتمجد أعمالهم وإلا لقيت منهم ما لا يسر وأشاحوا لها بوجوههم،

أذكـر مرة وأنا رئيس للإذاعة وكنا نسـتعد لافتتاح إذاعة جنوب سـيناء أن جاءنى أحد أعضاء مجلس الشـعب ومعه شـخص آخر قدمه لى بأنه يعمل فى محافظة جنوب سيناء وأنه جاء به ليرشحه لى مديرا لإذاعة جنوب سـيناء، وأردت أن يعرف هذا الشـخص أن الإعلام فن لا يعرفه إلا من له سابق ممارسة فسـألته عن كيفية عمل ريبورتاج إذاعى فاحتار حتى فـى معنى كلمة ريبورتاج وقلت لعضو المجلس: إن الإعلام المحلى هناك سـيديره واحد من أبناء الإذاعة وأن المسـئول الذى معه ويعمل فى المحافظة لا مانـع أن نجـرى له اختبارا صوتيـاً واختباراً فى المعلومات العامة وإذا نجـح فيمكن أن يعمل مقدماً للبرامـج فـى الإذاعة الوليدة وبالطبع انصرفا وهما غير مقتنعين لأنـه فى ظنهما أن إدارة إذاعة ما مثل إدارة أى مرفق آخر ومرة اتصل بى أحد المحافظين وكان صديقاً عزيزاً وقال: إنه لا يطيق مدير الإذاعة المحلية التى يديرها من قلب محافظته وإنه لا يسمع الكلام ويفعل أشياء لا تجد صدى طيبا عند السيد المحافـظ، وبالطبـع لم أناقش السـيد المحافظ فى طبيعة الأعمال التى لا يرضى عنها سـعادته خاصة أنـه قال لى: إنه يقدم لى مديـر العلاقات العامة بالمحافظة ليكون مديراً للإذاعة بدلاً من مديرها أبو دم ثقيل على قلب المحافظ وقلت للسـيد المحافظ إن الإذاعة المحلية جاءت إلى الإقليم لتكون فى خدمة المواطنين وتكون الصلة بينهم ومن المسـئولين فى الهيئات والمؤسسـات الحكومية وإننى سألتقى بالمدير لكـى أتعرف منه على الأسـباب التى جعلت السـيد المحافظ غير راض عنـه، كما قلت له إن الإعلام المحلى له اسـتقلال عن الحكم المحلى وإن كنت سـأنبه على المدير بأن يتطلع بشـىء من الاهتمام إلى رغبات السيد المحافظ.

وفى اعتقادى وفى جو الخصخصة والهيكلة الجديدة التى يريد المسـئولون الآن فى الإعلام إدخالها على الجهاز الإعلامى مسموعاً ومرئياً أن تتبع هذه الإذاعات الإقليمية الحكم المحلى بحيث يكون هناك مجلس أمناء لكل إذاعة مكون من مجموعة من المثقفين والفاعلين فى الحياة الاجتماعية فى الإقليم وتمثل المحافظات التى تبث لها الإذاعة برامجها بممثل لكل محافظة وبحيث يكون مجلس الأمناء هو المسيطر علـى خريطة البرامج دون تدخل من الجهة الإدارية وأن تتقاسـم المحافظات فى الإقليم الميزانية التى تخصص لهذه الإذاعة، ومعنى ذلك أن تستقل الإذاعات الإقليمية عن اتحاد الإذاعة والتليفزيون ويكون لها اسـتقلاليتها فى إجازة القراء والمطربين وتفعيل دورها فى اكتشـاف المواهب وصقلها وتبنيها وأزعم أن مثل ذلك الاسـتقلال سيوجد منافسة بين الإذاعات الإقليمية مسموعة ومرئية ومن منها صاحب ثقل وكعب عالٍ فى عمليات التنمية واكتشـاف المواهب وحل مشاكل الجماهير، وهذا الأمر ليس جديداً فى عالم الإعلام فالإذاعات المحلية فى إنجلترا لكل واحدة منها مجلس أمنائها الذى تمثل فيه كل طوائف المجتمع من أدباء وأطباء واجتماعيين واقتصاديين وفنانين وهذه المجالس هى التى ترسم خريطة برامج هذه الإذاعات وليس لأحد سـلطان عليها إن مثل هذا النظام سـيجعل من الإذاعة الإقليمية الصلة التى تربط بين المواطنين وبين المؤسسات التنفيذية والشعبية فى الإقليم.

إن الخدمات التى يمكن أن تقوم بها الإذاعات الإقليمية عديدة ومتعددة يكفى أنها هى وسيلة الاتصال الأولى فيما يتعلق بإذاعة نتائج الشهادات العامة التى ينتظرها الطلبة وآباؤهم وأمهاتهم وهو أمر لا يمكن للإذاعات الرئيسية أن تقدمه على موجاتها، ويكفى أنها تستطيع أن تكون المنبر والسبورة التى تقضى على آفة الأمية، كذلك يمكن من خلالها أن تبث للفلاحين فى غيطانهم التعليمات الخاصة بكيفية زيادة محاصيلهم الزراعية وتوجههم نحو القضاء على الآفات الزراعية وتبث لهم الإرشادات الصحية للوقاية من مرض معين أو للتوجه بأبنائهم الصغار لأخذ جرعات التطعيم وقاية لهم من أية أمراض، وهى يمكن أن يكون لها دور أساسى فى عمليات الصلح التى تتم بين الأسر المتنازعة وأيضاً يكون لها دور أساسى فى القضاء على العادات السيئة مثل عادة الثأر أو عادة ختان البنات، وبالطبع تكون لهذه الإذاعات فاعليتها المضاعفة عندما تقيم الندوات وتشرك فيها المواطنين لمناقشة مشروع معين يمكن أن يستفيد منه الشباب الذى يعانى من البطالة. أقول: عديدة هى الأمور التى يمكن أن تقوم بها الإذاعات الإقليمية ولا يتسع المجال لها فى الإذاعات الرئيسية. إن نظام الإعلام المحلى يجب أن يسود خاصة ونحن محاطون بغابات القنوات الفضائية التى تبث برامج من كل لون ومنها ما لا يتفق مع عادتنا، وبالطبع إذا ما وجد المواطن نفسه فاعلاً ومتفاعلاً مع إعلامه ووجد مشاكله تبحث فى هذا الإعلام وشاهد طموحاته وآماله وهذا الإعلام يحاول أن يجعلها حقيقة على أرض الواقع فإن ذلك سيجعله مهتما بهذا الإعلام بدرجة أكبر بكثير من اهتمامه بالإعلام الخارجى الوافد إليه من بلدان تختلف تقاليدها وعاداتها وطرق معيشتها عن واقعه الذى يعيشه. وأقرر أننى يوم أن أرى الإعلام الإقليمى مزدهراً ومؤثراً فى المجتمع ويوم أن أراه منتشراً فى العديد من المدن وعواصم المحافظات فإننى سأكون قرير العين وفى غاية السعادة ولعل ذلك يتحقق فى المستقبل القريب بإذن الله واعتقد أنه يوم أن يتحرر الحكم المحلى من سيطرة الجهاز التنفيذى فى القاهرة ويوم أن يصبح الكثير من مقدرات الأقاليم فى أيدى أبنائها وأن تكون مناصب الحكم المحلى بالانتخاب مثلاً، يوم أن يتم ذلك فإن الإعلام الإقليمى سيتوهج ويزدهر كما هو الحال فى كثير من البلدان التى وصلت إلى درجة عالية من الرقى الاجتماعى والسياسى والاقتصادى.

إذاعة الإسكندرية المحلية ..

ولقد جاء حين من الزمن كانت فيه إذاعة الإسكندرية زاهية متألقة عندما أطلقت الإذاعة الرئيسية يد إذاعى رائد هو المرحوم حافظ عبد الوهاب فأدار الإذاعة بعقلية الفنان لا بعقلية المدير الإدارى، كان أستاذنا حافظ عبد الوهاب واحداً من الرواد الإذاعيين الذين التحقوا بالإذاعة عقب إنشائها فى منتصف ثلاثينيات القرن الماضى، كان زميلا وبلديات للرائد الإذاعى الأول المرحوم محمد فتحى كروان الإذاعة، وصل عمنا حافظ إلى السنة الثالثة فى كلية التجارة جامعة فؤاد الأول وهمس له محمد فتحى بأن يعمل مذيعاً بالإذاعة أثناء الدراسة فقبل على الفور خاصة بعد أن اجتاز الامتحان بنجاح ومنحوه مرتباً مقداره اثنا عشر جنيهاً فهو مبلغ كبير جداً فى ذلك الحين ولكن عمنا حافظ جرفه تيار الإذاعة ونسى حكاية

استكمال دراسته الجامعية خاصة بعد أن أصبح من نجوم الإذاعة الذين يشار إليهم بالبنان، كان عمنا حافظ عبد الوهاب إنساناً خفيف الظل إلى درجة كبيرة وكانت له قدرة على تقليد الشخوص التى كانت تتعامل مع الإذاعة من أدباء ومثقفين كبار وكانت البسمة لا تفارقه والقفشة على لسانه تخرج عفوية وعلى السليقة، وأخرج عمنا حافظ العديد من البرامج الغنائية والصور الإذاعية التى مازالت تعيش فى الوجدان كلما قدمها الميكروفون مثل برنامج " راوية " كما كان يقوم بالتمثيل فى الدراما الإذاعية، ولعمنا حافظ حادثة لا تنسى فقد كان يذيع برنامج السهرة وحدث خلل فى الاستديو وطلب من المهندسين فى غرفة المراقبة إصلاح الخلل وكان الميكروفون مفتوحاً وهو لا يدرى وخرجت من لسانه كلمة فى حق المهندسين الذين لم يبادروا بإصلاح الخلل، وكانت «حوسة» وكان حادثاً مؤسفاً تحدث عنه الناس والسامعون ورؤى أن يبتعد عمنا حافظ عن العمل كمذيع وأسند إليه رئاسة قسم الموسيقى والغناء، ومن خلال ذلك القسم اكتشف عمنا حافظ المطرب عبد الحليم شبانه الذى أعطاه عمنا حافظ اسمه فأصبح عبد الحليم حافظ.

وأعود إلى إشراف عمنا حافظ على إذاعة الإسكندرية فأقول إنه بعد الثورة رؤى هيكلة الإذاعة وإنشاء إدارات عامة وإدارات فرعية وغير ذلك من التبويب الوظيفى، ولما تبين أن عمنا حافظ عبد الوهاب لا يحمل شهادة جامعية ونظراً لتاريخ الرجل فى الإذاعة الذى وصل إلى حوالى عشرين سنة خدمة وحتى لا يرأسه تلاميذه من الجامعيين جاء الإنقاذ فى أن يقوم عمنا حافظ بالإشراف على الإذاعة المزمع إنشاؤها بالإسكندرية وكان ذلك فى نهايات سنة ١٩٥٣ ومطالع سنة ١٩٥٤ وبالفعل ارتحل عمنا حافظ من إذاعة القاهرة وأخذ يعد العدة لإنشاء الإذاعة الجديدة فى الثغر، وتفانى حافظ عبد الوهاب فى العمل وأخذ معه بعضا من العاملين فى إذاعة القاهرة الذين هم من أبناء الإسكندرية. وفى عيد الثورة سنة ١٩٥٤ بدأ إرسال هذه الإذاعة، ووجد عمنا حافظ فى قماشة الحياة الفنية والثقافية والعلمية والاجتماعية فى الثغر ما سهل له الأمور. فالإسكندرية زاخرة بالمطربين والملحنين وكتاب الأغانى والأدباء وأساتذة الجامعة وكان أكثرهم مجازاً أمام ميكروفون الإذاعة الأم، مثلا جلال حرب مثلاً، وكاتب الأغانى أحمد ملوخية وكثيرون آخرون تنساهم الذاكرة كانوا الخلايا الأولى التى كتبت نجاح إذاعة الإسكندرية.

بل إن إذاعة الإسكندرية على يد عمنا حافظ عبد الوهاب أثبتت نجاحها بل وتفوقها – مثلا – لم تعرف إذاعة القاهرة المسلسلات الإذاعية إلا بعد أن قدمتها إذاعة الإسكندرية، بل إن إذاعة الإسكندرية عندما تناولت الحياة فى الإسكندرية وقامت بعدة حملات برامجية وحركت المسئولين هناك للقيام بتحقيق رغبات الجماهير فى أمور الحياة فى المدينة، فإن ذلك كان دافعا لكى يفكر المسئولون فى الإذاعة فى إنشاء إذاعة تعمل على تحقيق رغبات الجماهير وطموحاتهم وحل مشاكلهم فى بقية أقاليم الوطن ذلك إيذانا بإنشاء إذاعة الشعب سنة ١٩٥٩ التى رأسها الإذاعى الراحل حسن شعبان، كان

حسن شعبان أحد رجال التربية والتعليم وكان يشغل منصبا فى إدارة النشاط الاجتماعى بوزارة التربية والتعليم ثم نقل إلى الإذاعة وكان إنسانا ودودا طيب القلب هادئ الصوت وعلى أكتافه نشأت إذاعة الشعب التى كانت فلسفتها تقوم على تجوال المذيعين ومقدمى البرامج فى مختلف المحافظات لتقديم صور إذاعية عن حياة المواطنين وتقديم مشاكلهم ورغباتهم خلال الميكروفون.

السيرة الهلالية فى إذاعة الشعب ..

وقدمت إذاعة الشعب الملاحم الشعبية والفولكلور وأزعم أن المطرب الشعبى محمد طه والمطرب الشعبى أبو دراع ذاع صيتهما من خلال ميكروفون إذاعة الشعب، وأذكر أننى عندما توليت أمر هذه الإذاعة سنة ١٩٧٥ جاءنى الشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودى – بلدياتى – وقال لى إن لديه فكرة تقديم ملحمة السيرة الهلالية. وهذه السيرة كانت تقبع فى الذاكرة منذ أن استمعت إلى شعراء الربابة الذين كانوا يجوبون القرى ويحيون الأفراح ويقيمون حفلات السامر ينشدون سيرة أبو زيد الهلالى وأولاد أخته يحيى ويونس ومرعى فى تجربتهم فى تونس الخضراء وعلى الفور وافقت على الفكرة وجاء الأبنودى بشاعر السيرة عمى جابر من بلدته فى البلينا سوهاج وحجزت الإذاعة لعمى جابر حجرة فى فندق من فنادق العتبة هو وعازف الأيقاع المصاحب له وظل عم جابر لمدة أكثر من شهر يسجل مع الأبنودى كل يوم فى الإستديو الإذاعة حوالى ست ساعات، وكان الأبنودى يقوم بعملية المونتاج وقطعنا السيرة إلى حلقات كل حلقة لمدة ربع ساعة وعلى مدى عام كامل من أول يناير سنة ١٩٧٦ وحتى نهاية ذاك العام كان المتلقون ينتظرون بفارغ الصبر حلقات السيرة التى كانت تذاع فى الساعة الثامنة والنصف مساء كل يوم وأشهد أن السيرة الهلالية حظيت بكثافة استماع رهيبة وكانت خطابات المتلقين ترد على إذاعة الشعب معبأة فى زكايب منها من يحتفل بالبرنامج ومنها من يناقض الأبنودى وعم جابر فى بعض من أحدائها. أقول: إن إذاعة الشعب كانت المرآة العاكسة للحياة فى أقاليم مصر وقامت بإرساء قواعد الإعلام التنموى وكانت رائدة هذا اللون من الإعلام الزميلة العزيزة والإعلامية القديرة السيدة فوزية المولد التى بدأت حياتها مذيعة معنا فى مطالع الخمسينات وكانت خريجة كلية الزراعة بجامعة فؤاد الأول وتتلمذت على يد الرائد الإذاعى عثمان أباظة مقدم برامج الريف والذى من خلال هذه البرامج كان يقدم النصح للفلاحين وكيف يضاعفون من إنتاج محاصيلهم وكان يقدم برامج إذاعية فى أعياد حصاد الزراعات المختلفة مثل جنى القطن وجمع محصول القمح والقصب وغير ذلك من المحاصيل الزراعية وبعد رحيل عثمان أباظة قامت الزميلة فوزية المولد بالمهمة خير قيام وتنوعت على يديها برامج التنمية الشاملة للمواطن من برامج صحية وتعليمية وتثقيفية ورأست إذاعة الشعب وقدمت جهدا فى توهج هذه الإذاعة وبلغ من صيتها – أى صيت فوزية المولد – فى برامج التنمية والإعلام التنموى أن انتدبتها هيئة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة للعمل فى فرعها بأفغانستان ولكى تقدم برامج التنمية الشاملة فى هذا البلد الذى تنتابه الآن الأعاصير والأنواء – وكما قلت آنفا – ظلت إذاعة الشعب تقوم برسالتها

علـى مدى حـوالى ربع قرن حتى بدأت بث الإذاعات الإقليمية التى قامت بدور إذاعة الشـعب فرؤى إلغـاء هذه الإذاعة وتفرق أبناؤها فـى مناحى الإذاعة المختلفة فمنهم من عمل فى إذاعة القاهرة الكبرى ومنهم من عمل فى إذاعة الشباب والرياضة وهناك عدد لا بأس به منهم يعمل فى إدارة شبكة الإذاعات الإقليمية وإدارة الإذاعات الإقليمية.

عثمان أباظة مرة ثانية ..

وعثمان أباظة يعتبر من مخرجى الدراما الإذاعية الذين ضربوا بسـهم وافر فى ألوانها المختلفة سـواء كانـت درامـا بحتة أم صورا غنائية أم أوبريتات تحتوى على الغناء والدراما فى آن واحد. ونذكر له فى هذا المجال برامجه الريفية الغنائية التى كان يسجلها للإذاعة على الطبيعة فى الحقول وأمام الفلاحين الذين كانوا يسـعدون بما يقدم لهم فى مسـرح يشبه السـامر، كما نذكر له بكل الإعجاب والتقدير درة الدرامـا الإذاعية الغنائية وتحفة الميكروفون الخالدة «رابعـة العدوية»، وهى الدراما التى كتبها باقتدار أستاذ كتابة التمثيليات الإذاعية الراحل الشاعر الكبير طاهر أبو فاشا الذى كتب الحوار والأغنيات التى – ولأول مرة – تؤديها كوكب الشـرق أم كلثوم فى برنامج إذاعى كانت رابعة العدوية ولا تزال – عملا تعتز به الإذاعة ويفخر به الميكروفون – ولقد ظل عثمان أباظة يخرج هذا العمل على مدى ثلاثة أشهر تقريبا فى عمل مسـتمر دءوب لمدة سـاعات عديدة كل يوم، وفيه برزت نجمة الدراما الإذاعية سميحة أيـوب كواحـدة من عمالقة الأداء أمـام الميكروفون وتنافس أفراد كتيبة ممثلـى الدراما الإذاعية، صلاح منصـور ومحمـد علوان ومحمـد الطوخى وأحمد أباظة وغيرهم فى أداء ممتع حتـى إنه يمكن القول إن الاسـتماع إلى رابعة العدوية بأداء ممثليها القوى وبأغانيها الرائعة التى لحنها الموجى والطويل وبالطبع صوت أم كلثوم ثم بالإخراج الرائع لعثمان أباظة يمكن القول إن الاسـتماع إلى رابعة العدوية يعتبر أقوى تأثيرا فى النفوس من مشاهدة الفيلم السينمائى الذى قامت بدور البطولة فيه نبيلة عبيد والنجم الأشهر فريد شوقى.

صفية المهندس

تعتـبر الإذاعيـة القديرة صفية المهندس – يرحمها الله – واحدة مـن رائدات العمل الإذاعى – بل هـى بحكم تاريخها الطويل واسمها اللامع تأتى فى المقدمة منهن، وصفية المهندس تعدّ من السـيدات اللائـى لا يزيـد عددهن على أصابع اليـد الواحدة ممن التحقن بالإذاعة مثل عفاف الرشـيد، وتماضر توفيـق، والأولى لم تمكـث كثيرا فى الإذاعة بعد زواجها والثانية هى التى ظلت فى جنبات الإذاعة إلى أن أصبحت رئيسة للتليفزيون، وتقول صفية المهندس إنها كانت تضع الإذاعة نصب أعينها لتعمل بها بعد التخرج فى كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية خاصة وأن خريجى هذا القسم كانوا أصحاب الحظوة فى التعيين بالإذاعة حيث كان الرائد الإذاعى محمد فتحى خريجا فى هذا القسـم وكان الإنجليز أيضا

يفضلون من يجيد الإنجليزية وبعد أن تخرجت سنة ١٩٤٥ تقدمت تحت اسم صفية زكى للعمل بالإذاعة وفى غفلة من والدها الأستاذ الكبير زكى المهندس الأستاذ بدار العلوم واجتازت صفية زكى الامتحان بتفوق كبير خاصة وأنها تتمتع بصوت من الأصوات التى يعشقها الميكروفون، وحتى قبل رحيلها كان صوتها الذهبى يخرج من الميكروفون صافيا نقيا، على رغم أن الكثيرين – وأنا منهم – فعلت السنون بأصواتنا ما تفعله ببقية أعضاء الجسم، فأصواتنا تحشرجت ولم تعد كما كانت منذ أن التحقنا بالإذاعة فقد شاخت هذه الأصوات بحكم السنين إلا صوت صفية المهندس، وعملت صفية مذيعة وقارئة نشرة وعندما دخلت الإذاعة سنة ١٩٥٠ كانت صفية المهندس فى عز الشباب جميلة متأنقة وكنا ننظر إليها بإعجاب شديد فهى مذيعة مرموقة ورئيسة ومشرفة ركن المرأة ثم هى خطيبة الرائد الإذاعى بابا شارو، ويوما بعد يوم وسنة بعد سنة، ومع ترقى صفية المهندس فى مدارج السلم الإذاعى كنا نلتف حولها باعتبارها «الريسة» منها نأخذ التجربة وعلى يديها نتعلم أصول الصنعة وظلت كما هى لم تتغير الإنسانة ذات القلب الكبير المحبة للجميع والمحبوبة من الجميع ثم هى صاحبة ظل خفيف تتذوق القفشة وتحكى الملح وهو دآب أل المهندس جميعا، فشقيقها سامى فى منتهى خفة الظل أذكر مرة وكانت صفية المهندس وأسرتها يقضون جانباً من فصل الصيف فى الإسكندرية وفى كابينتهم بسيدى بشر ذهبت أزورهم وأنا فى عمل بالإسكندرية وكان سامى يرتدى المايوه فقلت له إيه العضلات دى فقال على الفور «دى عضلات الشيوخ عضلات النواب» على غرار حضرات الشيوخ حضرات النواب.

أما فؤاد المهندس – يرحمه الله – فلا يحتاج إلى تعريف فهو واحد من ملوك الكوميديا، وبالمناسبة أقول إن موهبة فؤاد المهندس الكوميدية توهجت من خلال برنامج ساعة لقلبك الذى كنت أقدمه بالإذاعة على مدى عشر سنوات من سنة ١٩٥٤ وحتى نهاية سنة ١٩٦٣ وكان هو وعبد المنعم مدبولى يكونان ثنائيا جميلا كان مدبولى يكتب النص ويفصله على مقاس فؤاد المهندس ولعل القارئ يتذكر فقرات «محمود ومراته» التى كان يؤديها فؤاد المهندس وخيرية أحمد وكانت تجد صدى كبيرا لدى المتلقين وقد بدأ فؤاد المهندس حياته مع التمثيل وهو طالب بكلية التجارة بالجامعة فكان رائد فريق التمثيل والنجم الأول فى المسرحيات التى كان يقدمها طلبة الكليات الجامعية عندما كان النشاط الفنى شيئاً ملحوظاً فى الجامعات، وبعد التخرج عين موظفا فى النواحى الإدارية بالجامعة وكان يؤدى بعض الأدوار التمثيلية خلال الميكروفون تحت اسم فؤاد زكى وكان ذلك بسبب خوفه من أن يكون عرضة للتحقيق حيث كان يحظر على الموظفين الحكوميين أن يقوموا بأعمال أخرى غير عملهم الحكومى، وقد بدأ فؤاد المهندس عمله كممثل وصاحب شخصية كوميدية فى ساعة لقلبك تحت اسم فؤاد زكى إلى أن قلت له إنك لن تلمع تحت هذا الاسم ولكن سيتضاعف لمعانك عندما نذكرك باسم فؤاد المهندس فعادة ما يكون الاسم غير المألوف سببا فى الذيوع والشهرة ووافق فؤاد وقام عبد المنعم مدبولى بكتابة نص ذكر فيه كيف سمى فؤاد بفؤاد المهندس، وقال فى النص الذى قدمناه فى ساعة لقلبك إن حقيقة

الأمر أن والدة فؤاد كان لديها ابن آخر اسمه هندس وكان الجيران ينادونها بلقب أم هندس رويدا رويدا تحـرف الاسـم وأصبح المهندس وبالتالى أصبح فـؤاد زكى فؤاد المهندس. هكذا كتـب خيال عبد المنعم مدبولى وأعود لصفية المهندس وكيف أن جلسـات لجنة البرامج كانت تتسم بالحيوية والمرح الأمر الذى كان يضفى على الجلسـة لونا من الأسـرية والمحبة بعيدا عن التجهم وسيطرة الرئيس على المرءوسين، كانت الفكرة التى يطرحها الواحد منا وتجد قبولا من المجموعة توافق عليها صفية على الفور أما الفكرة التـى لا تتسـم بالجدية والرصانـة فكانت تلقى الرفض فى غير لوم بل كانت «الريسـة صفية تقول فى أسلوب جميل» يمكن لو أضفت كذا وكذا أو حذفت كذا وكذا فإن الفكرة ستكون جيدة وصالحة للتقديم عبر الميكروفون.

ولقد صادفت صفية المهندس بعض العنف ولاقت بعض الشدة من أحد السادة وزراء الإعلام وذلك فى ١٩٧٧ عندما كانت تقوم بعملها رئيسـاً للإذاعة ندبـاً قبل أن يصدر لها قرار رئيس الوزراء للتعيين فى المنصب، فقد تخيل السـيد الوزير رحمه الله أن صفية المهندس تتجاوز حدودها معه وأنها تقوم بأعمال لا يرضى عنها فأصدر قراراً جردها فيه من كل سـلطاتها وجعلها مثل الملوك الذين يملكون ولا يحكمون فأعطى مسئولية البرامج والشئون السياسية والأخبار لواحد من رؤساء الشبكات الإذاعية وأعطى مسئولية الشـئون المالية والإدارية لمديرها العام دون الرجوع إلى رئيس الإذاعة وأصبحت صفية المهندس بلا حول ولا طـول وكانت تحضـر إلى مكتبها فى الإذاعـة كل صباح لتقرأ الجرائد والمجلات وتشـرب فنجان القهوة ثم تنصرف إلى منزلها فى الساعة الثانية بعد الظهر وكنا نحن مرءوسيها نذهب إليها فى المكتب نواسـيها وكانت الجلسـة أشبه بسـرادق عزاء وكانت هى تبتسـم فى ألم ولا تقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل وتناثرت الشـائعات فى المبنى الكبير، منها من كان يقول إن السـبب فى ازورار الوزير وغضبه أن صفية المهندس كانت تقول إن الوزير لا يعرف شيئاً فى الإعلام ومنها من تطاول واتهمها باتهامات تمس الشـرف والنزاهة وكنت أنا أحد الذين يدافعون عنها ويذهب إلى مكتبها ويجلس معها كل صباح الأمر الذى جعل الوزير يشـيح بوجهه عنى فى أكثر من مناسـبة على رغم أننى كنت من الأثيرين لديه وكانت معرفتى به تعود إلى سـنوات طويلة وكان عندما يلقانى يقول لى أهلاً يا خال، وأذكر أن الزميل الذى أعطاه الوزير مسـئولية الإشـراف على البرامج التقانى فى إحدى طرقات الإذاعة وقال لى يا فهمى أنـت صديقى وأنا أحذرك من تماديك فـى الوقوف فى جانب صفية المهندس فإن الوزير «حاطط» عينه عليك، وقلت له إذا كان الحب والصداقة والزمالة وعشرة السنين ستكون السبب فى إنزال الوزير غضبه على فأهلاً بذلك، وقلت له إنك أيها الزميل لو كنت فى نفس الموقف الذى تقف فيه الآن صفية المهندس لما ترددت فى مواساتك وهدهدت أعصابك.

وأقـول إن الصلـة بينى وبين السـيد الوزير كانت قوية للغاية حتى إنه عندما أقام أكثر من جلسـة حضرها السـيد رئيس الوزراء فى ذلك الوقت الراحل ممدوح سـالم كان يوكل إلى تقديم مفردات الجلسة

والمتحدثين في الموضوعات التي تطرح للبحث. بل إنه عقب إحدى هذه الجلسات أرسل إلى مع مخصوص خطاباً يشكرني فيه على حسن تقديمي ويشيد بإدارتي للجلسة وزادت دهشتي عندما دعا إلى لقاء يضم كل الزملاء المراقبين العاملين بالإذاعة وعقب أن تحدث في اللقاء وجدته ينظر إلى شذرا ويصطحب معه عدداً من الزملاء إلى داخل مكتبه دون أن يوجه إلى الدعوة للدخول مع الزملاء إلى مكتبه وكأنه يقول لي هذا جزاؤك على أنك تدافع عن صفية المهندس في جلساتك في مكتبك وزياراتك المتكررة لها في مكتبها يومياً وبالطبع لم ألتفت إلى كل هذه الأمور إلى أن جاء الفرج بعد شهور عندما تغيرت الوزارة ورحل عنها السيد الوزير مع من رحل من الوزراء الآخرين ولم يمض إلا أسبوعان حتى كان قرار رئيس الوزراء قد صدر بتعيين صفية المهندس رئيسة للإذاعة.

التقاليد الدبلوماسية ..

وأذكر حادثا شخصياً تعرضت له السيدة صفية المهندس، وكان هذا الحادث بعيداً عن التقاليد الدبلوماسية خاصة وأن الذي ارتكبته كانت حرم سفيرنا في روما والحكاية أن الرئيس السادات سافر في رحلة إلى أوروبا ١٩٧٦ زار فيها إيطاليا وألمانيا واختتمها بزيارة ليوغوسلافيا وصدر القرار بسفر السيدة صفية المهندس رئيس الإذاعة ومعها وفد إذاعي من رئيس إذاعة الشعب وهو شخصي الضعيف والزميل علي فايق زغلول – رحمه الله – وذلك لتغطية الزيارة وكان من جدول عملنا أن نقوم أيضا بتغطية نشاط السيدة حرم الرئيس أثناء هذه الزيارات الرسمية وكانت السيدة صفية المهندس ترافق حرم الرئيس في جولاتها ولقاءاتها مع المسئولين عن النشاطات الخاصة بالمرأة.

وأذكر أن المسئول عن الشئون الإدارية لرحلة السيد الرئيس كان من بين مهامه تسكين رجال الإعلام المرافقين في الفنادق المخصصة لهم وعندما دخلنا الفندق بعد الوصول إلى روما شاهدناه ينادينا ويعطي لكل واحد منا مفتاح الغرفة المخصصة له قائلاً لنا إذا كانت الغرفة لا تروق أحداً منكم فأنا على استعداد لكي أغيرها له بغرفة أخرى، وسبحان الله تمر الأيام وإذا بهذا المسئول الإداري يتولى منصباً مرموقاً في الإعلام ومن خلفه يجري الكثيرون ويهرولون لتلبية طلباته والعمل على خدمته وراحته واللهم لا حسد.

ونعود إلى سرد تفصيلات السخف الذي بدر من حرم السيد السفير تجاه رئيسة الإذاعة والوفد الإذاعي المرافق لها فأقول: إن المسئول الإعلامي بالرحلة أخطر السيدة صفية المهندس أن السيدة حرم الرئيس ستلتقي في السفارة المصرية بالعديد من السيدات المصريات المقيمات في روما بحكم العمل أو الزواج أي بزوجات رجال الجالية المصرية في إيطاليا ووجدت السيدة صفية في هذا الاجتماع مجالاً يمكن أن تلتقي فيه مع المصريات في روما وتدير حوارات معهن، إضافة إلى ما يمكن أن تسجله من أحاديث ستدور بالقطع بين حرم الرئيس وبين هؤلاء السيدات، وبالفعل حملنا أجهزة التسجيل وتوجهنا إلى دار السفارة المصرية وقسمت السيدة صفية المهندس العمل بيني وبين الزميل علي فايق بحيث نسجل معاً

أكبر كم ممكن من الحوارات والأحاديث مع زوجات رجال الجالية المصرية فى إيطاليا.

وجلسنا ثلاثتنا فى حديقة السفارة وكتبت السيدة صفية المهندس ورقة سلمتها إلى أحد العاملين بالسفارة لتوصيلها إلى حرم السيد السفير لإخطارها بأن الإذاعيين المصاحبين للرئيس وعلى رأسهم رئيسة الإذاعة فى انتظار أية تعليمات من السيدة حرم الرئيس بخصوص تسجيل حديث معها بشأن هذا الاجتماع وأنها ترجو حرم السيد السفير فى اللقاء معها ومع من تختاره من سيدات الجالية المصرية لتسجيل لقطات عن الروابط بين مصر وإيطاليا وبعد لحظات طالت إلى حوالى ربع ساعة جاءت حرم السيد السفير غاضبة متجهمة وهى تقول: إنها لم توجه الدعوة لأى من الإعلاميين وأن عدد الكراسى فى «القعدة» يدوب على «قد المدعوين» وأنها لا تعرف متى تنتهى حرم السيد الرئيس من حواراتها مع السيدات المدعوات وأن علينا أن ننتظر فى الحديقة لحين الانتهاء من الاجتماع وأنها لن تستطيع أن تبلغ حرم الرئيس بأننا متواجدون فى حديقة السفارة. وهنا انبرت لها السيدة صفية المهندس التى كادت هذه المفاجأة المذهلة تلجم لسانها وقالت لها يا سيدتى نحن لم نحضر هنا لكى نجلس على مائدة الشاى وإنما جئنا لأن عملنا يقتضى منا أن نلازم حرم الرئيس فى تنقلاتها هنا وهناك واستطرت تقول لها: على أية حال نحن شاكرون على هذه المقابلة المليئة بالدبلوماسية والترحيب، وإننا سنغادر المكان وفى الذهن ستعيش ذكرى مقابلتك أبد الدهر.

الغريب أن حرم السفير أعطتنا ظهرها وانصرفت تبرطم بكلمات فرنسية وكأنها تشتمنا أو تبدى سخطها علينا، وغادرنا دار السفارة والذهول يغلف قسمات وجوهنا ودخلنا إلى الفندق ولايزال الذهول من هول ما حدث يسيطر علينا، وما إن جلسنا فى صالة الفندق حتى انفجرنا فى ضحكات لما حدث ونحن نضرب كفا بكف لقلة الذوق خاصة من إنسانة المفروض فيها أنها تعرف أقدار الناس وإنها إذا كانت لا تعرف من هى صفية المهندس النجمة الإعلامية البازغة فى سماء الإعلام ورئيس إذاعات مصر فالعيب ليس فى صفية المهندس وإنما العيب عند الآخرين الذين تنقصهم المعلومات ولا يقرأون صحافة بلدهم التى بالقطع تكتب خبرا عن الإذاعة ورئيستها ما بين يوم وآخر.

فى مساء ذلك اليوم كانت البعثة بكل أطيافها تعرف ما حدث وجاء الأساتذة أنيس منصور وموسى صبرى وغيرهم إلى الفندق يسألون عن صفية المهندس ويستفسرون عما حدث وقال موسى صبرى رحمه الله «تعيشى يا صفية وتاخدى غيرها» وانفجرنا ضاحكين وأبدى الأساتذة استياءهم وتفضلوا بكلمات فيها الكثير من المواساة لرئيسة الإذاعة، وفى المساء كانت السيدة حرم رئيس الجمهورية قد أبلغت بما حدث ونقل لها موسى صبرى تفاصيل الحادث وحكى لها كيف أن صفية المهندس فى حالة نفسية سيئة، ومع صباح اليوم التالى كانت السيدة حرم رئيس الجمهورية تزمع زيارة الهيئات الاجتماعية فى روما وجاءت مكالمة تليفونية للسيدة صفية المهندس تقول بأن تتوجه إلى مقر إقامة السيدة حرم رئيس الجمهورية وأن هناك سيارة رسمية ستحضر إلى الفندق لنقلها إلى مكان الإقامة وجاءت السيارة فى الموعد

المحدد واستقلتها السيدة صفية المهندس وعندما دخلت إلى صالون حرم الرئيس كانت حرم السفير موجودة وعندما رأتها حرم الرئيس قامت ترحب بها وتحتضنها وبلغ الترحيب مداه عندما توجهت حرم الرئيس إلى مائدة عليها زجاجات وأكواب وبنفسها ملأت لها كوباً من إحدى الزجاجات وقالت لها اشربى يا صفية هنا بيعملوا شربات اللوز بشكل يجنن ثم أجلستها إلى جوارها وهات يا كلام دون أن تلتفت حرم الرئيس إلى حرم السفير أو تشركها فى الحديث ثم قالت لصفية المهندس تعالى معايا ودخلت بها إلى حجرة آخرى وطيبت خاطرها لما حدث بالأمس ثم اصطحبتها معها فى جولتها التى قامت بها فى ذاك الصباح ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل إن الرئيس السادات نفسه غضب غضباً شديداً عندما بلغه أمر ما حدث لرئيسة الإذاعة وأسرها الرجل فى نفسه، وكانت المفاجأة السارة التى أثلجت صدور الإذاعيين جميعا أن قراراً صدر عن وزارة الخارجية بنقل السيد السفير إلى الديوان العام وكانت حكاية تناقلتها الألسنة آنذاك خاصة بعد أن كتب موسى صبرى مقالاً فى صفحتين فى آخر ساعة يحكى فيها التفاصيل وما جرى من أحداث.

□□□

obeikandl.com